تأمّلات في

دعاء الافتتاح

سماحة آية الله العظمى

السيد محمد تقي المدرسي دام ظله



٨ دار البصيرة

تأمّلات في

دعاء الافتتاح

تأمّلات في

دعاء الافتتاح

سماحة آية الله العظمى

السيد محمد تقي المدرسي دام ظله

دار البصيرة

١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م



بيروت ـ الحمراء ـ ص.ب: ٢٢١/١٢٣٣

الكتاب: تأمّلات في دعاء الافتتاح.
المؤلف: آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله)
الطبعة: الثانية ١٤٢٣هـ
المطبعة: مظاهري


بسم الله الرحمن الرحیم

بمثابة تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الدُّعاء، صنفٌ من المناجاة بين العبد وربّه، يتضمَّن ـفيما يتضمنـ إيحاءات ذاتية للداعي نفسه، بما يتلفّظه لسانه، قد تنتشله من وهدة اليأس، وقد تستنهض همّته للثورة والجهاد، وقد تُذكِّرُه بما كاد ينساه من واجبات حيال دينه وعقيدته ورسالته.

هذا، فضلاً عن أن الدُّعاء «سلاح المؤمن» ـكما ورد في الحديث الشريفـ، سلاحه الذي يرفعه بوجه الظالمين إذا أعيتهُ السبل.. كما فعل الإمام زين العابدين عليه السلام، وسلاحه الذي يمتشقه في حربه الضروس مع نفسه الأمّارة بالسوء ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾.. وسلاحه في مسيرته الحثيثة نحو السمِّو والتكامل والارتقاء، سلاحُه في كدحه الحتمي نحو الحق تبارك وتعالى.

قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أدلكم على سلاح يُنجيكم من عدوِّكم ويدر رزقكم؟ قالوا: نعم. قال: تدعون باللّيْل والنّهار، فأن سلاح المؤمن الدُّعاء».

ودعاء (الافتتاح)، الجليل المضامين، الذي يفتتح به المؤمنون أمسيّات شهر رمضان، المفعمة بالأيمان والنور والطّاعات، لا يخرج عن هذه القاعدة المباركة، ناهيك عن مدَّه لجسور العلاقة الواعية، بين المربوب والرّب سبحانه، العلاقة التي تستدر الفيوضات والبركات الإلهية لتنثال على المؤمن وتغسل أدران نفسه كما يغسل المطر المنهمر الشَّجر.

وأيضاً، يتضمن دعاء الافتتاح المبارك، جوانب عرفانية مشرقة، يعتبر المجتمع الإيماني بأمسّ الحاجة إليها، من قبيل معرفة الله وتوحيده، معالجة مسألة الغيب والشهود، الأيمان بالآخرة.. إلى آخره.

ومن منطلق محاولة تفسير وتوضيح وشرح وتحليل هذا الدعاء العظيم نضع بين يديك موضوع الكتاب، مُستَلٌّ ومُقتبَس، من مجموعة محاضرات لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرّسي، كان قد ألقاها على المُصلين خلال شهر رمضان الكريم عام ١٤٠٣ هجري، وصيغت ونُشرت في كتاب: الدّعاء، معراج الروح ومنهاج الحياة (في محرم الحرام عام ١٤٠٥هـ).

نرجو أنْ يتقبل الله طاعات المؤمنين، ويتقبل عملنا هذا بأحسن القبول.. وما توفيقنا إلا بالله، عليه توكّلنا واليه نُنيب.

الناشر



دعاء الافتتاح

«اللَّهمَّ إنِّي أَفْتَتحُ الثَّنَاءُ بِحَمْدكَ وأنْتَ مُسَدِّدٌ للصواب بِمَنِّكَ وأَيْقَنْتُ أنَّكَ أنْتَ أرْحَمُ الرَّاحِمينَ فِي مَوْضعِ العَفْوِ والرَّحْمَة وأَشَدُّ الْمُعَاقِبِينَ فِي مَوْضعِ النَّكَال والنَّقمةِ وأَعْظَمُ الْمُتَجَبِّرينَ فِي مَوْضعِ الكِبْرِيَاء وَالعَظَمَةِ.

اللَّهُمَ أَذِنْتَ لِي فِي دُعَائكَ وَمَسْأَلَتكَ فَاسْمَعْ يَا سَمِيْعُ مدْحَتِي وَأَجِبْ يا رَحِيْمُ دَعْوَتِي وَأَقِلْ يَا غَفُورُ عَثْرَتِي فَكَمْ يا إلَهِي مِنْ كُرْبَةٍ قَدْ فَرَّجْتَها وَهُمُومٍ قَدْ كَشَفْتَها وَعَثْرَةٍ قَدْ أَقَلْتَهَا ورَحْمَةٍ قَدْ نَشَرْتَهَا وَحَلْقَةِ بَلاءٍ قَدْ فَكَكْتَهَا.

الْحَمْدُ لله الَّذي لَمْ يَتَّخذْ صَاحبَةً ولا وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيْكٌ فِي الْمُلْكُ ولَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنْ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً الْحَمْدُ لله بِجَمِيعِ مَحَامده كُلِّهَا عَلَى جَمِيعِ نعَمه كُلِّهَا الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لاَ مَضادَّ لَهُ فِي مُلْكِهِ ولا مُنازِعَ لَهُ

فِي أمْرِهِ الْحَمْدُ لله الَّذِي لا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِه ولا شَبِيْهَ لَهُ فِي عَظَمَتِه الْحَمْدُ لله الفَاشِي فِي الْخَلْقِ أَمْرُهُ وحَمْدُهُ، الظَّاهِرِ بِالْكَرَمِ مَجْدُهُ، البَاسِطِ بِالْجُودِ يَدَهُ الَّذِي لا تَنْقُصُ خَزائِنُهُ ولا تَزِيدُهُ كَثْرَةُ العَطَاءِ إلاَّ جَوْداً وكَرَماً إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الوَهَّابُ.

اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ قَلِيلاً مِنْ كَثِيرٍ مَعَ حاجَةٍ بِي إلَيْهِ عَظِيمَةٍ وَغِناكَ عَنْهُ قَدِيمٌ وَهُوَ عِنْدِي كَثِيرٌ وَهُوَ عَلَيْكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ اللَّهُمَّ إنِّ عَفْوَكَ عَنْ ذَنْبِي وَتَجَاوُزَكَ عَنْ خَطِيْئَتِي وَصَفْحَكَ عَنْ ظُلْمِي وَسِتْرَكَ عَلَى قَبِيحِ عَمَلِي وَحِلْمَكَ عَنْ كَثِيرِ جُرْمِي عِنْدَما كَانَ مِنْ خَطَئِي وَعَمْدِي أَطْمَعَنِي فِي أنْ أَسْأَلَكَ مَا لا أَسْتَوجِبُهُ مِنْكَ الَّذِي رَزَقْتَنِي مِنْ رَحْمَتِكَ وأَرَيْتَنِي مِنْ قُدْرَتِكَ وعَرَّفْتَنِي مِنْ إجَابَتِكَ فَصِرْتُ أَدْعُوكَ آمِناً وَأَسْأَلُكَ مُسْتَأنِساً لا خَائِفاً ولا وَجِلاً مُدِلاً عَلَيْكَ فِيْمَا قَصَدْتُ فِيهِ إِلَيْكَ فَإنْ أَبْطَأَ عَنِّي عَتَبْتُ بِجَهْلِي عَلَيْكَ وَلَعَلَّ الَّذِي أَبْطَأَ عَنِّي هُوَ خَيْرٌ لِي لِعِلْمِكَ بِعَاقِبَةِ الأمُورِ فَلَمْ أَرَ مَوْلًى كَرِيماً أَصْبَرَ عَلَى عَبْدٍ لَئِيْمٍ مِنكَ عَلَيَّ يا رَبِّ إِنَّكَ تَدْعُونِي فَأُوَلِّي عَنْكَ وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَأَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ وَتَتَوَدَّدُ إلَيَّ فَلا أَقْبَلُ مِنْكَ كَأَنَّ لِي التَّطَوُّلَ عَلَيْكَ فَلَمْ يَمْنَعْكَ ذَلِكَ مِنْ الرَّحْمَةِ لِي وَالإِحْسَانِ إِلَيَّ والتَّفَضُّلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ وكَرَمِكَ فَارْحَمْ عَبْدَكَ الجَاهِلَ وَجُدْ عَلَيْهِ بِفَضْلِ إِحْسَانِكَ إِنَّكَ جَوادٌ كَرِيمٌ.

الْحَمْدُ للّه مَالكَ الْمُلْك مَجْرِي الفُلْك مُسَخِّرِ الرِّيَاح فَالقِ الإصْبَاحِ دَيَّان الدِّين رَبِّ العَالَمين الْحَمْدُ للّه عَلى حلْمه بَعْدَ علْمه والْحَمْدُ للّه عَلى عَفْوه بَعْدَ قُدْرَته والْحَمْدُ للّه عَلى طُول أنَاته في غَضَبه وَهُوَ قَادرٌ عَلى مَا يُريدُ الْحَمْدُ للّه خَالقِ الْخَلْقِ باسط الرِّزْق فالقِ الإصْبَاحِ ذي الجَلال والإكْرَام والفَضْلِ والإنْعَام الَّذي بَعُدَ فَلا يُرَى وَقَرُبَ فَشَهدَ النَّجْوَى تَبارَكَ وَتَعالَى الْحَمْدُ لله الَّذي لَيْسَ لَهُ مُنازِعٌ يُعادلُهُ ولا شَبيهٌ يُشَاكلُهُ ولا ظَهيرٌ يُعَاضدُهُ قَهَرَ بعزَّته الأَعزَّاءَ وَتَواضَعَ لعَظَمَته العُظَمَاءُ فَبَلَغَ بقُدْرَته ما يَشَاءُ الْحَمْدُ لله الَّذي يُجيبُني حينَ أُنَاديه ويَسْتُرُ عَلَيَّ كُلَّ عَوْرَة وَأَنَا أَعْصيه وَيُعَظِّمُ النِّعْمَةَ عَلَيَّ فَلا أُجازيه فَكَمْ منْ مَوْهبَة هَنيئَة قَدْ أَعْطَاني وَعَظيمَة مَخُوفَة قَدْ كَفَاني وَبَهْجَة مُونقَة قَدْ أَرَاني فَأُثْني عَلَيْه حَامداً وَأَذْكُرُهُ مُسَبِّحاً الْحَمْدُ للّه الَّذي لا يُهْتَكُ حجَابُهُ وَلا يُغْلَقُ بَابُهُ ولا يُرَدُّ سَائلُهُ ولا يُخَيَّبُ آملُهُ الْحَمْدُ للّه الَّذي يُؤْمنُ الخَائفينَ وَيُنَجّي الصَّالحينَ وَيَرْفَعُ الْمُسْتَضْعَفينَ وَيَضَعُ الْمُسْتَكْبِرينَ وَيُهْلكُ مُلُوكاً وَيَسْتَخْلفُ آخَرينَ والْحَمْدُ للّه قَاصمُ الجَبارينَ مُبيرِ الظَّالمينَ مُدْركِ الهَاربينَ نَكال الظَّالمينَ صَريخِ الْمُسْتَصْرِخينَ مَوْضعِ حَاجَاتِ الطَّالبينَ مُعْتَمَدِ الْمُؤْمنينَ.

الْحَمْدُ للّه الَّذي منْ خَشْيَته تَرْعَدُ السَّمَاءُ وسُكَّانُهَا وتَرْجُفُ الأَرْضُ وعُمَّارُهَا وتَمُوجُ البِحَارُ وَمَنْ يَسْبَحُ في غَمَراتهَا.

الْحَمْدُ لله الَّذي هَدَانَا لِهَذا وَمَا كُنَّا لنَهْتَدي لَوْلا أنْ هَدَانَا اللّهُ الْحَمْدُ لله الَّذي يَخْلُقُ وَلَمْ يُخْلَقْ وَيَرْزُقُ وَلا يُرْزَقُ وَيُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ ويُميتُ الأَحْيَاءَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ بِيَدِهِ الخَيرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد عَبْدكَ وَرَسُولكَ وأَمينكَ وَصَفيِّكَ وَحَبيبكَ وَخيرَتكَ منْ خَلْقكَ وَحافظ سرِّكَ وَمُبَلِّغ رسالاتكَ أَفْضَلَ وأحْسَنَ وأَجْمَلَ وأَكْمَلَ وأَزْكَى وأَنْمَى وأَطْيَبَ وأَطْهَرَ وأَسْنَى وأَكْثَرَ مَا صَلَّيْتَ وبَارَكْتَ وتَرَحَّمْتَ وتَحَنَّنْتَ وَسَلَّمْتَ عَلى أَحَد منْ عبَادكَ وأَنْبيائكَ ورُسُلكَ وَصفْوَتكَ وأَهْلِ الكَرَامَةِ عَلَيْكَ منْ خَلْقكَ.

اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلى أَميرِ الْمُؤْمنينَ ووَصِيِّ رَسُولِ رَبِّ العَالَمينَ عَبْدكَ وَوَليِّكَ وَأَخي رَسُولكَ وَحُجَّتكَ عَلى خَلْقكَ وَآيَتكَ الكُبْرَى والنَّبَأ العَظيمِ وَصلِّ عَلى الصَّدِّيقَة الطَّاهِرَة فَاطمَةَ سَيِّدَة نسَاءَ العَالَمينَ وَصَلِّ عَلى سبْطَي الرَّحْمَة وإمَامَي الْهُدَى الْحَسَنِ والْحُسَيْنِ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الْجَنَّة وَصَلِّ عَلى أئمَّة الْمُسْلمينَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَمُحَمَّد بْنِ عَلِيٍّ وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّد وَمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ وَعَلِيِّ بْنِ مُوسَى وَمُحَمَّد بْنِ عَلِيٍّ وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ والْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَالْخَلَف الْهَادي الْمَهْدي حُجَجك عَلى عبَادكَ وَأُمَنَائكَ في بِلادكَ صَلاةً كَثيرةً دَائمَةً.

اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى وَلِيِّ أَمْرِكَ القَائِمِ الْمُؤَمَّلِ والعَدلِ

الْمُنْتَظَرِ وَحُفَّهُ بِمَلائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ وَأَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ يا رَبِّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ الدَّاعِي إِلى كِتابِكَ وَالقائِمَ بِدِينِكَ اسْتَخْلِفْهُ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ مَكِّنْ لَهُ دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ أَبْدِلْهُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِ أَمْناً يَعْبُدُكَ لا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئاً اللَّهُمَّ أَعِزَّهُ وَأَعْزِزْ بِهِ وانْصُرْهُ وَانْتَصِرْ بِهِ وانْصُرْهُ نَصْراً عَزِيزاً وافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً واجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً اللَّهُمَّ أَظْهِرْ بِهِ دِينَكَ وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ حَتَّى لا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِها الإِسْلامَ وَأَهْلَهُ وَتُذِلُّ بِها النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ والْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ وَتَرْزُقُنَا بِها كَرَامَةَ الدُّنْيا والآخِرَةِ اللَّهُمَّ ما عَرَّفْتَنَا مِنَ الْحَقِّ فَحَمِّلْنَاهُ وما قَصُرْنَا عَنْهُ فَبَلِّغْنَاهُ.

اللَّهُمَّ الْمُمْ بِهِ شَعَثَنَا واشْعَبْ بِهِ صَدْعَنا وارْتُقْ بِهِ فَتْقَنَا وَكَثِّرْ بِهِ قِلَّتَنَا وَأَعْزِزْ بِهِ ذِلَّتَنَا وَأَغْنِ بِهِ عَائِلَنَا وَاقْضِ بِهِ عَنْ مَغْرَمِنَا وَاجْبُرْ بِهِ فَقْرَنَا وَسُدَّ بِهِ خَلَّتَنَا وَيَسِّرْ بِهِ عُسْرَنَا وَبَيِّضْ بِهُ وَجُوهَنَا وَفُكَّ بِهِ أَسْرَنَا وَأَنْجِحْ بِهِ طَلِبَتَنَا وَأَنْجِزْ بِهِ مَوَاعِيدَنَا وَاسْتَجِبْ بِهِ دَعْوَتَنَا وأَعْطِنَا بِهِ سُؤْلَنا وَبَلِّغْنَا بِهِ مِنَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ آمَالَنَا وَأَعْطِنَا بِهِ فَوْقَ رَغْبَتِنا يَا خَيْرَ الْمَسْؤُولِينَ وَأَوْسَعَ الْمُعْطِينَ اشْفِ بِهِ صُدُورَنَا وَأَذْهِبْ بِهِ غَيْظَ قُلُوبِنَا وَاهْدِنَا بِهِ لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وانْصُرْنَا بِهِ عَلى

عَدُوِّكَ وَعَدُوِّنَا إِلَهَ الْحَقِّ آمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقْدَ نَبِيِّنَا صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وآله وَغَيْبَةَ وَلِيِّنَا وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا وَقِلَّةَ عَدَدنَا وَشِدَّةَ الْفِتَنِ بِنَا وَتَظَاهُرَ الزَّمَانِ عَلَيْنَا فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآله وَأَعِنَّا عَلَى ذَلِكَ بِفَتْحٍ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ وَبِضُرٍّ تَكْشِفُهُ وَنَصْرٍ تُعِزُّهُ وَسُلْطَانِ حَقٍّ تُظْهِرُهُ وَرَحْمَةٍ مِنْكَ تُجَلِّلُنَاهَا وَعَافِيَةٍ مِنْكَ تُلْبِسْنَاهَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين.

اللهم برحمتك في الصالحين فَأَدْخلنا، وفي عليين فَارْفَعنا، وبكأس من مَعين من عَيْنٍ سَلْسَبيل فَاسْقنا، ومِنَ الحُور العِيْن برحمتك فَزَوِّجنا، ومِنَ الولدان المُخَلَّدين كَأنهم لؤلؤ مكنون فَأخْدمنا، ومن ثمار الجَنَّة، ولُحوم الطَيْر فَأَطْعمْنا، ومن ثِياب السُنْدُسِ والحرير والإسْتَبْرَق فألبسْنا، ولَيلةَ القَدْرِ،، وَحَجَّ بَيْتِكَ الحرام، وقَتْلاً في سَبيلكَ فَوَفق لنا، وصالحَ الدُعاء والمَسْألة فاسْتَجبْ لنا، وإذا جَمَعْتَ الأولين والآخرين يَوْمَ القيامَة فارحمنا، وَبَراءةً من النار فَاكْتُبْ لَنا، وفي جَهَنَّمَ فَلا تَغْلنَّا، وفي عذابكَ وَهَوانك فلا تَبْتَلنا، ومِنَ الزَّقُوم والضَريع فلا تُطْعمْنا، وَمَعَ الشياطِين فَلَا تَجْعَلنا، وفِي النارِ عَلى وُجُوهنا فلا تكْبُبْنا، ومن ثياب النار، وسَرابيلِ القَطِران فلا تُلْبِسْنا، ومِن كلِّ سُوءٍ يا لا إلهَ إلاَّ أنْتَ بحقِ لا أله إلا أنت فَنَجِّنا».

١ـ الحمد والدعاء

(اللَّهمَّ إنِّي أَفْتَتحُ الثَّناءُ بِحَمْدكَ وأنْتَ مُسَدِّدٌ للصواب بِمَنِّكَ وأَيْقَنْتُ أنَّكَ أنْتَ أرْحَمُ الرَّاحمينَ فِي مَوْضعِ العَفْوِ والرَّحْمَةِ وأَشَدُّ الْمُعَاقبينَ فِي مَوْضعِ النَّكَال والنَّقمة وأَعْظَمُ الْمُتَجَبِّرينَ فِي مَوْضعِ الكبْرِيَاء وَالعَظَمَة. اللَّهُمَ أَذنْتَ لِي فِي دُعَائكَ وَمَسْأَلَتكَ فَاسْمَعْ يَا سَميْعُ مدْحَتي وَأَجبْ يا رَحيْمُ دَعْوَتي وَأَقلْ يَا غَفُورُ عَثْرَتي فكَمْ يا إلَهِي منْ كُرْبَةٍ قَدْ فَرَّجْتَها وَهُمُوم قَدْ كَشَفْتَها وَعَثْرَةٍ قَدْ أَقَلْتَها وَرَحْمَةٍ قَدْ نَشَرْتَهَا وَحَلْقَةِ بَلاءٍ قَدْ فَكَكْتَهَا...).

(**اللهم إِني أفتتحُ الثناء بِحَمدِك، وأنتَ مُسددٌ للصوابِ بِمَنِّك**).

ينبغي للداعي أن يبدأ حديثه ودعاءه بالثناء على الله سبحانه وتعالى، والثناء على الله قد يكون بالشكر لله وحده، وقد يكون بتسبيحه سبحانه وتعالى وتقديسه، (**اللهم إني افتتح الثناء بحمدك**)، سوف يكون أول ثنائي لك حمدي لك، وقد تعني هذه الجملة أن الثناء إنما هو بما وهب الله لنا وأعطانا من فضل يجب أن نحمده عليه، فثنائي عليك إنما يكون بحمدك، فلولا أنك رزقتني القدرة على الثناء ووفقتني للدعاء كيف كنت أستطيع أن أحمدك أو أثني عليك..

(**وأنت مسدد للصواب بمنك..**)

إن حسن الافتتاح لا يدل على حسن الختام، فربما يكون الإنسان في مفتتح حياته، ومفتتح حديثه حسناً صالحاً، صائباً لكنه ينحرف بعدئذ تحت تأثيرات مختلفة،

لذلك فنحن نطلب من رب القدرة لتستمر استقامتنا على الصواب: (**وأنت مسدد للصواب بمنك**)، أنت الذي تسددني للصواب.

حينما يرمي الإنسان سهماً ويصيب الهدف، يكون قد سدّد الرمية، لأنها أصابت هدفها، ونحن حينما ندعو ربنا نطلب منه أن يسدد دعوتنا للصواب ويستجيبها، وهو المسدد للصواب، إلا أننا يجب أن لا نغفل عن أن نعم الله تعالى علينا ومنها تسديده لنا للصواب ليس أمراً نستحقه نتيجة أعمالنا وجهدنا، وإنما هي بمن الله سبحانه وتعالى لذلك فإننا نقول في دعائنا وبكل خشوع: (**وأنت مسدد للصواب بمنك..**).

(**وأيقنتُ أنك أنت أرحم[1] الراحمين في موضع**

---

(١) تكتب بعض كتب الأدعية كلمة (وأيقنتُ) بضمير المخاطب أي (وأيقنتَ) ويعني هذا الاتجاه أن الله هو الذي أيقن بأنه أرحم الراحمين.. إذ إن كثيراً ممن يقرؤون الدعاء قد لا يكونون من الموقنين، فكيف يمكن لغير الموقن أن يقول (وأيقنتُ أنك أنت أرحم الراحمين) في الوقت الذي لم يصل بعد إلى مرحلة اليقين؟ أما نحن فنفضل القراءة المعروفة وهي (وأيقنتُ) بضمير المتكلم، لأننا لا نعرف هل أن استخدام كلمة (اليقين) في الله سبحانه وتعالى له معنى أم لا، ثم من جهة أخرى: أن الأدعية هي ـ في الغالب ـ اعتبارات أي أنها تجعل الإنسان يفكر وكأنه من الموقنين، مثلاً: حين تقول: (اللهم أني وعزتك من النادمين) =

العفو والرحمة وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة..)

ينبغي أن يكون الداعي بين اليأس والرجاء أو بتعبير أفضل بين الخوف والأمل ﴿**وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا**﴾، خوفاً وأملاً، لذلك ترى في بداية دعاء الافتتاح يضع الإمام الدعاة بين الرغبة والرهبة (**وأيقنتُ أنك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة**)، إذا كنتَ أهلاً للعفو والرحمة، فإن الرحمة تنزل عليك بحيث لا تستطيع استيعابها، مثلاً: حينما تهطل الأمطار من السماء كمظهر من مظاهر رحمة الله، فإنها تكون من الكثرة بحيث تفيض الأودية بالماء، ولا تستطيع أن تستوعب الكمية الهائلة من الأمطار التي تنزل من السماء، أو إذا فتح الله على الإنسان أبواب الرزق، فانه يغمر الإنسان بحيث لا يعرف ماذا يصنع به، هذا إذا كان الإنسان مستحقاً للرحمة.

= فليس هذا إخباراً عن حالة سابقة، وإنما هو إنشاء لهذه الحالة، والأدعية هي عادة مجموعة إنشاءات إلا أنها تتحدث بلغة الماضي ولكن تعبيراً عن الحاضر، إذن حينما نقول: (وأيقنتُ) يعني أننا ينبغي أن نرتفع إلى درجة اليقين، وإذا لم أكن من (الموقنين) فعلاً فإنني يجب أن اكرر هذا الإيحاء حتى ارتفع إلى هذا المستوى، بل وتعبيراً عن رغبتي الشديدة في بلوغ مرحلة اليقين.

إما إذا كان الإنسان مستحقاً للعذاب فإن العذاب يأتيه بشدة وبصورة لا يتصورها، إذن، فإن الإنسان بين أمرين:

إما رحمة واسعة نسألها من الله، وإما عذاب شديد نستجير بالله منه، (**وأيقنت أنك أنت**)، وليس غيرك يا رب (**أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة**)، فإذا كنتَ مذنباً ودعوتَ الله سبحانه وتعالى، مددت إليه يد الضراعة والمسكنة ليغفر لك ذنبك، فان الله لا يعفو عن الذنب فقط، وإنما يزيدك من رحمته، وهذا من أسماء الله سبحانه وتعالى.

فالإنسان المذنب يطلب من الله أن يتجاوز عن سيئاته ويغفر له ذنوبه من قبيل: ترك الصلاة، إيذاء الناس وتضييع حقوقهم، اتهامهم واغتيابهم، تضليل الآخرين.. الخ، فإن الله يغفر له إن شاء الله، ويزيده من نعمه بان يعطيه الإيمان، والتقوى، والرحمة من عنده، (**وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة**)، وإذا أراد ربنا أن يجازي أحداً وأن ينتقم منه، فان عذابه يكون شديداً، وما نراه في هذه الدنيا من أنواع العذاب التي حلت بالأقوام الكافرة مثل:

قوم لوط أو بلاد عاد أو ثمود أو أصحاب الأيكة، وما نعرفه من غرق فرعون وآل فرعون في اليم، كل هذا

شيء بسيط جداً من عذاب الله سبحانه وتعالى، أما عذابه الشديد ونكاله ونقمته فهي في الآخرة.

(وأعظم المتجبرين في موضع الكبرياء والعظمة)

كل أبناء آدم يذنبون إلا المعصومين منهم، ولكن على الإنسان أن لا يتحدى ربه، فبعض الذنوب يرتكبها الإنسان في حالة التحدي لله عز وجل.

إن كبرياء الله وعظمته لن تسمحا لأحد بأن يتحداه، وعلى العبد أن يحذر من تحدي جبار السموات والأرض بكثرة الذنوب والإصرار عليها، مما قد يصل إلى درجة يخاطبه الله تعالى فيها:

(عبدي افعل ما شئت فإني لن أغفر لك أبداً)[1].

فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«**من همَّ بالسيئة فلا يعملها فانه ربما عمل العبد السيئة فيراه الرب فيقول: وعزّتي وجلالي لا أغفر لك أبداً**»[2].

وقد جاء في دعاء (أبي حمزة الثمالي) ما يشير إلى هذا

---

(1) وسائل الشيعة ج٢ص٢٤٨.
(2) وسائل الشيعة ج٢ص٢٤٨.

المفهوم، إذ يقول الدعاء:

«الهي لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد، ولا بأمرك مستخف، ولا لعقوبتك متعرض، ولا لوعيدك متهاون، لكن خطيئة عرضت، وسوّلت لي نفسي، وغلبني هواي، وأعانني عليها شقوتي، وغرّني سترك المُرخى عليّ، فقد عصيتك وخالفتك بجهدي، فالآن من عذابك مَن يستنقذني، ومن أيدي الخصماء غداً مَن يخلصني..».

وعلى الإنسان أن يسارع إلى التوبة من الذنب، ولا يترك الذنوب تتراكم في حياته فإنها تكون أصعب للمغفرة ثم إن تراكم الذنوب على قلب الإنسان تميت قلبه وتجعله ابعد عن الهداية، فيجب أن يبادر الإنسان إلى محوها بالتوبة.

(اللهم أذنت لي في دعائك ومسألتك فاسمع يا سميع مدحتي وأجب يا رحيم دعوتي، وأقل يا غفور عثرتي)

إن من أشد العذاب الذي ينتقم الله به من الكفار والمشركين في نار جهنم هو أن الله سبحانه وتعالى لا يأذن لهم بسؤاله عن شيء، فأهل النار لا يحق لهم التحدث مع الله، إلا أن الله لم يغلق باب التحدث معه وسؤاله التوبة والمغفرة في وجه المذنبين في الدنيا، فأنت العبد الضعيف المحتاج المسكين الذي لا تملك لنفسك شيئاً، تتحدى ربك

وتذنب الذنب ثم تستغفره وتطلب منه العفو والتوبة، وهو يغفر لك، إنه فتح أمامك، باب المغفرة وآذن لك بالتوبة في الدنيا، أما في يوم الحساب فان الله يغلق هذا الباب، فعلينا أن نستغل الفرصة، ونبادر إلى التوبة وطلب الغفران، (**اللهم أذنت لي في دعائك**)، إلهي: أنت الذي بدأت بالفضل وأعطيتني الإذن بالدعاء والمسألة (**فاسمع يا سميع مدحتي**)، إذن فأنا أبدأ دعائي بمدح الله وحمده سبحانه وتعالى (**وأجب يا رحيم دعوتي، واقل يا غفور عثرتي**)، إننا نطلب من الله أن يغفر لنا كل العثرات، والزلل والذنوب والهفوات، وأن يقيلها أي: يعتبرها وكأنها لم تكن، فالإقالة تعني أنك حينما تشتري بضاعة، ثم تكتشف أنها لا تفيدك، فترجع إلى البائع وتطلب منه أن يستردها ويعيد لك نقودك وكأن لم يكن بيع ولا شراء، هذه هي الإقالة، ونحن نطلب من الله أن يعتبر ذنوبنا وكأنها لم تكن، ويمحوها من صفحات أعمالنا: (**وأقل يا غفور عثرتي**).

(**فكم يا إلهي من كربة قد فرجتها، وهموم قد كشفتها، وعثرة قد أقلتها، ورحمة قد نشرتها، وحلقة بلاء قد فككتها**..)

يا إلهي، إذا غفرت لنا ذنوبنا، وأقلت عثراتنا فليست هي المرة الأولى، فما أكثر الذنوب التي غفرتها، والكربات التي فرجتها، والعثرات التي أقلتها..

إن الداعي يجب أن يتذكر كربه التي فرجها الله، وهمومه التي كشفها الله، وعثراته التي أقالها الله سبحانه وتعالى، فإن هذا التذكر أدعى لأن يفتح الله أبواب الإجابة أمامه.

ولكن لا ينحصر فضل الله على الإنسان بكشف الهموم، وإقالة العثرات، وتفريج الكربات، بل أكثر من ذلك: (**ورحمة قد نشرتها وحلقة بلاء قد فككتها**)، قد يشعر الإنسان أحياناً وكأن البلاء قد حاصره من كل مكان وقد أعيته مذاهب الحياة، وضاقت عليه الدنيا بما رحبت، فإذا به يرى البلاء من كل مكان: أصدقاؤه يخونونه، أقاربه يتركونه، مجتمعه يرفضه، والحكومة تلاحقه، ومن جهة أخرى: جسمه ضعيف والمرض يهجم عليه، وكأن البلاء يهاجمه من كل مكان وليس له أي أمل ولا يستطيع أن يمد يده إلى أي إنسان، هنالك يتجه قلبه إلى الله سبحانه وتعالى فيفك الله عنه حلقة البلاء ويجعله ينطلق في الحياة، وتعود كل المياه إلى مجاريها، وتغمره رحمة الله ولطفه. إلا أن مشكلة الإنسان انه ينسى كل ذلك، فأنا وأنت لا شك قد ابتلينا في فترات من حياتنا بأنواع البلاء والمشاكل، ولم يفك حلقة البلاء عنا إلا الله تعالى، ولكننا نسينا تلك اللحظات الصعبة، والدعاء يذكرنا بكل ذلك ويزرع في قلوبنا الأمل بالله والرجاء برحمته.

٢ـ توحيد الله

(..الْحَمْدُ لله الَّذي لَمْ يَتَّخذْ صَاحبَةً ولا وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيْكٌ فِي الْمُلْكُ ولَمْ يكُنْ لَهُ ولِيٌّ مِنْ الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تَكْبِيراً الْحَمْدُ لله بِجَميعِ مَحَامده كُلِّها عَلَى جَميعِ نعَمه كُلِّها الْحَمْدُ لله الَّذي لا مَضادَّ لَهُ فِي مُلْكه ولا مُنازِعَ لَهُ فِي أمْرِه الْحَمْدُ لله الَّذي لا شَريكَ لَهُ فِي خَلْقه ولا شَبِيْهَ لَهُ في عَظَمَته الْحَمْدُ لله الفَاشِي فِي الْخَلْقِ أَمْرُهُ وحَمْدُهُ، الظَّاهِرِ بِالْكَرمِ مَجْدُهُ، الباسطِ بِالْجُودِ يَدَهُ..).

عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «**إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعوت، وباللفظ غير منطق، وبالشخص غير مجسّد، وبالتشبيه غير موصوف، وباللون غير مصبوغ، منفي عنه الأقطار، مبعد عنه الحدود، محجوب عنه حس كل متوهم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر، فاظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، وحجب واحداً منها، وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التي أظهرت، فالظاهر هو (الله وتبارك وسبحان) لكل اسم من هذه أربعة أركان، فذلك اثني عشر ركناً، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها.**

فهو الرحمن الرحيم، القدوس، الخالق، البارئ، المصور، الحي، القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، العليم، الخبير، السميع، البصير، الحكيم، العزيز، الجبار، المتكبر العلي، العظيم، المقتدر، القادر، السلام المؤمن، المهيمن، المنشئ، البديع، الرفيع، الجليل، الكريم، الرازق، المحيي،

المميت، الباعث، الوارث».

فهذه الأسماء، وما كان من الأسماء الحسنى حتى تتم ثلاثمائة وستين فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة، وهذه الأسماء الثلاثة أركان وحجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة، وذلك قوله عز وجل:

﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾»[1].

الله، تبارك، سبحانه، هذه أصول (أسماء الله) الحسنى، واسم (الله) تشتق منه أسماء أخرى كالعليم، القدير، الخبير، البصير، السميع، الحكيم، وما أشبه، هذه الأسماء التي تدل على صفات الله الذاتية ـحسب تعبير علماء الكلامـ واسم (تبارك) تشتق منه أيضاً مجموعة أسماء هي (أسماء الفعل) فتبارك يعني: أعطى البركة، وكل ما يعطيه الله سبحانه وتعالى لخلقه فهو بركة، وأسماء الفعل هي: الخالق، الرازق، الفاعل لما يشاء، المصور، البارئ، وما أشبه، هذه الأسماء التي تدل على أفعال الله سبحانه وتعالى، والاسم الثالث هو (سبحان)، وهو اسم يدل على تنزيه ربنا عن التشبيه بالخلق، وعن اتخاذ المثل له، وتجزئته سبحانه وتعالى، مثل اسم الصمد، أحد، (لم يكن له كفواً

(١) بحار الأنوار، ج٤، ص١٦٦.

احد)، هذه هي أسماء الله سبحانه وتعالى ويشتق منها ثلاثمائة وستون اسماً على الأقل، من كل اسم تشتق مجموعة أسماء، تتفرع منها أسماء أخرى.

وفي هذه الفقرة من الدعاء، نتلو بعضاً من أسماء التسبيح والتنزيه التي يرمز إليها اسم (السبحان)، يقول بعض العلماء: إن أعظم أسماء الله هو اسم (السبحان، وإن أعظم الأذكار هو (سبحان الله) لذلك فإن أفضل الأذكار في الركوع والسجود هو (سبحان الله)، كما أن التسبيحات الأربع التي تُقرأ في الركعات الثلاثة والرابعة من الفرائض، تُبتدأ بـ(سبحان الله)، حتى في التكبيرات التي تتلى عقب الفرائض والمشهورة باسم (تكبيرات الزهراء) قال بعض العلماء: إن الأفضل الابتداء بـ(سبحان الله) ثم (الحمد لله) ثم (الله اكبر) بعكس ما هو المتعارف عند عامة الناس.

والسؤال هو: لماذا اسم (السبحان) هو من أعظم أسماء الله؟

الجواب: لأن الإنسان يعرف بفطرته أن له خالقاً:

﴿فِطْرَةَ اللَّه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[1].

---

(1) الروم: ٣٠.

وفي آية أخرى يقول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا..﴾[1].

إذن، إن فطرة العبودية لله، وفطرة الاعتراف بالخالق مرتكزة في كل النفوس إلا أن مشكلة الإنسان الحقيقية هي أنه يريد أن يفهم الله وان يحيط معرفة به، يريد أن يلمس وان يحس ربه، لذلك فهو يشبِّه ربه بخلقه. وهنا مكمن الانحراف في العبادة، إذ إن الإنسان يتجه مرة لكي يصنع صنماً ويعبده ويقول هذا ربي، ومرة أخرى يتخذ نوعاً من النباتات والأشجار والحيوانات ليعبدها من دون الله، والبعض الآخر يعبد الشمس أو القمر، أو النجوم، فالجميع معترفون بأن لهم خالقاً، ولكن من هو هذا الخالق؟ هنا مكمن الاشتباه، وأساس ضلالة الإنسان وانحرافه، إذ إنه يحاول أن يشبه خالقه بخلقه. أما لو عرف الإنسان هذه الحقيقة: أن ربه تعالى عن الإحاطة بالعلم، وأنه منزه وسبوح وقدوس عن التشبيه بالخلق، لو عرف بان الله اكبر من أن يُوصف، لاقترب إلى الله سبحانه وتعالى ولكن هناك مشكلة أخرى تعترض البشر حتى المؤمنين

(1) الأعراف: ١٧٢.

بالله منهم، فحينما يريدون أن يقتربوا إلى الله تأتي المخلوقات وتحجبهم عن الخالق، فيتوجه الإنسان إلى المخلوق عوض التوجه إلى الخالق، و(سبحان الله) هو الذِّكر الذي يقربك إلى الله سبحانه وتعالى، لأنه يبعدك عن التشبيه، ولذلك جاء في القرآن الكريم:

﴿سَبَّحَ للَّه مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرض وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

فالسموات والأرض بما تدل على محدوديتها وحاجتها وضعفها وعجزها وأنها قد ابتدأت في لحظة، وسوف تنتهي في لحظة وفي ساعة معينة، إن هذه السموات والأرض تُسبِّح الله، أي تنزهه وتقدسه عن صفات السموات والأرض، ومن إبرزها (المخلوقية) بينما صفة الله تعالى هي (الخالقية) ومن صفات السموات والأرض: العجز والحاجة، بينما صفات الله تعالى هي: الغنى والقدرة.

وربما نستطيع أن نعتبر البرهان الذي توصل عبره النبي إبراهيم إلى إثبات وجود الله واتجه إلى عبادته، هو من قبيل هذا الأمر، حيث إنه لما رأى الكوكب، والقمر، والشمس، وقال عن كل واحد منها: هذا ربي، ولكنه لما

(1) الصف: ١.

رأى أفولها، وأنها لا يمكن أن تكون آلهة، توصل إلى هذه النتيجة:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

فتوجه إلى خالق الكوكب، والقمر، والشمس..

هذا البرهان هو في هذا الاتجاه، إذ إن الإنسان يشبه ربه أولاً بالمخلوقات، إلا أنه بعد الدقة والتعمق يعرف أن الخالق لا يمكن أن يكون مثل المخلوق، لأن المخلوق بصفاته المعروفة غير قادر على الاستقلالية، فالمحدود يحتاج إلى من يحده، والعاجز يحتاج إلى من يعطيه القدرة، والضعيف يحتاج إلى القوي، فإذن يجب أن يكون الخالق قوياً، عزيزاً، وقادراً.

لذلك كلما سبّحنا الله وقدسناه ونزهناه سبحانه وتعالى، كلما اقتربنا إليه، والآن لنتأمل فقرات الدعاء:

(**الحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً**).

---

(1) الأنعام: ٧٩.

لماذا لم يقل لم يتخذ ولداً ولا صاحبة، لان الإنسان ـ في البدء ـ يتخذ لنفسه صاحبة وزوجة، ثم بعد ذلك يولد له الأولاد. والله الخالق منزه عن ذلك، (ولم يكن له شريك في الملك) الملكوت لله سبحانه وتعالى ليس له شريك فيه، (**ولم يكن له ولي من الذل**) الصالحون من عباد الله هم أولياء الله: (أشهد أن علياً ولي الله)، ولكن ليس لله ولي من الذل، أي أنه لا يحتاج إلى احد، غني عن العالمين، بل العالمون جميعاً يحتاجون إليه، والإنسان إذا أراد أن يعمل عملاً، فلا بد أن يعينه فيه مجموعة من الأعوان والأنصار، أما الله فهو لا يحتاج إلى أحد، أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون. لا يحتاج إلى من يعينه في خلق السموات والأرض، أو يساعده في تدبير شؤون السموات والأرض (**ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً**)، فالله اكبر مما يصفه الإنسان ومما تتوهمه العقول.. إن محاولة توهم الله تعالى تجر الإنسان إلى عبادة المخلوق.. وهذا هو الذي أدى بالسامري وأتباعه أن يتوهموا ربهم في عجل خلقوه بأيديهم:

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾[1].

---

(1) طه: ٨٨.

(**وكبره تكبيراً**..) أي لا يجب أن يكون هناك أي توهم لله، فالله فوق الأوهام، والخيال، كلما توهمته في ذهنك فهو مخلوق وليس بخالق. الخالق فوق توهم الإنسان، والمطلوب في معرفتك بالله هو أن تخرجه من حدود التعطيل والتشبيه، فلا هو من خلقه ولا هو عدم، هو شيء لا كالأشياء، أما كيف؟ لا كيف له.. أين؟ لا أين له؟ متى؟ لا متى له. ما هي علامته؟ لا علامة له. إن كل هذه الحروف غير صادقة في الله هذه كلها صفات المخلوق.

(**الحمد لله بجميع محامده كلها، على جميع نعمه كلها، الحمد لله الذي لا مضاد له في ملكه، ولا منازع له في أمره، الحمد لله الذي لا شريك له في خلقه، ولا شبيه له في عظمته**..).

بعد أن ذكر الدعاء بعضاً من أسماء الله السبحانية التي تقدسه وتنزهه عن كل نقص وعجز، يشير في هذه الفقرة إلى أسماء الفعل التي يرمز إليها اسم (تبارك): (**الحمد لله بجميع محامده كلها على جميع نعمه كلها**) هل يستطيع الإنسان أن يستغني عن أي نعمة من نعم الله؟ أو هل يستطيع أن يحصل على هذه النعم من غيره؟ وأي نعمة من النعم التي أعطاها الله لنا لا يستحق بها حمداً جديداً؟ كل النعم نحتاجها، وكل النعم من عنده، وكلها بحاجة إلى الحمد، لذلك فإننا نحمدها جميعاً وفي جملة

صغيرة ونقول: (**الحمد لله بجميع محامده كلها على جميع نعمه كلها**) ولكن ماذا يعني بجميع محامده كلها؟

الجواب: إننا قد نحمد الله بتعابير مختلفة، فنقول: الحمد لله، حمدك يا رب، نحمدك يا الله، لك الحمد يا حامد ويا حميد، إلا أننا هنا نحمد الله بجميع محامده على جميع نعمه.

(**الحمد لله الذي لا مضاد له في ملكه**) حينما ملك الله فليس هناك ملك آخر يستطيع أن يضاد ربنا، هذا ما نعترف به بألسنتنا. ويأتي الدعاء لكي يعمل على إدخال هذه الحقيقة إلى القلب، حتى تتحول جزءاً من جنان البشر ومن تركيبته الداخلية، إن الإنسان كثيراً ما يقول: (**الحمد لله الذي لا مضاد له في ملكه**) ولكنه حين العمل يخضع للطاغوت، وللأنظمة المستكبرة، يخضع لغير الله سبحانه وتعالى، إن ما تقر به ألسنة البشر يجب أن يتحول إلى إيمان قلبي ينعكس بدوره على مواقف وأعمال الإنسان في حياته اليومية. (**ولا منازع له في أمره**) إذا أمر الله أمراً، انتهى كل شيء، فلا معقب لحكمه، ولا احد يستطيع أن يقول لماذا؟ أو أن يقف بوجه أمر الله، فلو أراد الله أن يرفع إنساناً، لا يستطيع العالم كله أن يضعه، ولو شاء الله أن يضع إنساناً ويهينه، فان كل قوى العالم لا تستطيع مجتمعة أن تكرمه، إن أمر الله ومشيئته لا منازع لهما ولا يقدر احد

أن يتحداهما (**الحمد لله الذي لا شريك له في خلقه ولا شبيه له في عظمته**) فعندما خلق السموات والأرض لم يتخذ شريكاً، وعظمة الله ليست مما تصل إليها عظمة احد. (**الحمد لله الفاشي في الخلق أمره وحمده**) كان اليهود يقولون بان الله سبحانه وتعالى مغلول اليدين، لا يقدر على شيء، وقد كانت لهذه الفكرة امتدادات، منها الكفر بعقيدة (البداء). والإيمان (بالبداء) يعني الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى قادر أن يتخذ قراراً جديداً في كل لحظة وفي كل شأن من الشؤون، فليس هناك ما يحتم على الله شيئاً أبداً، فالله فوق الحتميات، إذا أراد الله الآن وفي هذه اللحظة أن يعدم الكون كله، لفعل ذلك في اقل من طرفة عين، فهو الفاشي في الخلق أمره.

أفلا يستطيع الذي خلق الكون أول مرة وأعطاه الوجود، إن يعدمه ويسلب منه نعمة الوجود في لحظة واحدة؟ أن من أهم عقائدنا ومن أكثرها تقدمية وحضارية وحرية هي عقيدة (البداء) ففي اعتقادنا يستطيع الله أن يغير وان يبدل القدر، ينزل عليك البلاء ثم تدعوا الله سبحانه وتعالى، فيرفع القدر، هذا هو (البداء) وليس كل ما خط في اللوح المحفوظ هو الذي يحدث حتماً ودون أي تغيير.. إن التغيير ممكن، لذلك نقرأ في أدعية شهر رمضان المبارك (**اللهم إن كنت من الأشقياء فامحني من الأشقياء واكتبني من السعداء**) فإذا كان اسمي في اللوح المحفوظ

مكتوباً من الأشقياء فإنني أدعو الله، واعمل الصالحات، والتمس إلى الرب الكريم، فيستجيب الله لي، ويغير ذلك القرار: (**الحمد لله الفاشي في الخلق أمره وحمده**) أمر الله منتشر في الخلق وهو قادر على أن يغير ويبدل في كافة الأمور والشؤون حسب مشيئته الحكيمة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى حمد الله، وهذا يعني أن أمره حميدٌ أيضاً.

(**الظاهر بالكرم مجده**) أن مجد الله وعظمته يظهران بالكرم، فالله لا يستخدم عظمته ومجده وقدرته في ظلم المخلوقات، وقمع الضعفاء والعاجزين كما يفعل بعض المخلوقين حينما يحصل على القوة والعظمة الظاهرية، اما الله فانه ذو مجدٍ وكرمٍ في آن واحد، (**الباسط بالجود يده**) أما جود الله ويده فإنهما مبسوطان على كل الخلائق، ولولا جود الله ونعمه التي يبسطها بيده على الخلق، لانعدم الوجود ولتحول كل شيء إلى رماد.

٣ ـ خزائن الله.. لا تنفذ

(.. الَّذي لا تَنْقُصُ خَزائنُهُ ولا تَزيدُهُ كَثْرَةُ العَطاء إلاَّ جَوْداً وكَرَماً إِنَّهُ هُوَ العَزيزُ الوَهَّابُ. اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ قَليلاً مِنْ كَثيرٍ مَعَ حاجَةٍ بي إلَيْهِ عَظيمَةٍ وَغناكَ عَنْهُ قَديمٌ وَهُوَ عنْدي كَثيرٌ وَهُوَ عَلَيْكَ سَهْلٌ يَسيرٌ اللَّهُمَّ إنَّ عَفْوَكَ عَنْ ذَنْبِي وَتَجاوُزَكَ عَنْ خَطيْئَتي وَصَفْحَكَ عَنْ ظُلْمِي وَسِتْرَكَ عَلَى قَبِيحِ عَمَلِي وَحِلْمَكَ عَنْ كَثيرِ جُرْمِي عنْدَما كانَ مِنْ خَطَئِي وَعَمْدي أَطْمَعَنِي في أنْ أَسْأَلَكَ ما لا أَسْتَوجِبُهُ منْكَ الَّذي رَزَقْتَني مِنْ رَحْمَتِكَ وأَرَيْتَني مَنْ قُدْرَتِكَ وعَرَّفْتَني مِنْ إجَابَتِكَ فَصِرْتُ أَدْعُوكَ آمناً وَأسْأَلَكَ مُسْتَأْنِساً لا خائِفاً ولا وَجِلاً مُدِلاً عَلَيْكَ فِيْمَا قَصَدْتُ فِيهِ إِلَيْكَ...)

(**الحمد لله الفاشي في الخلق أمره وحمده، الظاهر بالكرم مجده، الباسط بالجود يده، الذي لا تنقص خزائنه ولا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً، انه هو العزيز الوهاب**).

كيف تنقص خزائنه بكثرة العطاء، بل ولا تزيده إلا جوداً وكرماً؟

الجواب: إن عطاء الله سبحانه وتعالى إنما هو من خزائن لا تنفذ، إن خزائن الله عظيمة وكبيرة لا نفاذ لها، لان خزائن الله، ورحمته، ونعمه إنما هي من كلمة واحدة: (كن) فيكون، إن الله تبارك وتعالى يخلق بكلمة (كن) واحدة، ملايين الكرات وملايين المجرات، فكيف تنفذ خزيتنه من كانت قدرته بهذه السعة؟

إلا أن الأمر هو أبعد من هذا الواقع بكثير، إذ إن كثرة العطاء من قبل الله، ليس فقط لا تنقص خزائنه، بل وتزيده جوداً وكرماً.

فالله يهب للإنسان العقل، والإنسان يعرف بعقله ربه فيدعوه، فيزيده الله من فضله ويعطيه الإيمان، فإذا زُوِّد بالعقل والإيمان، يعرف أن رحمة الله واسعة، وفضله عميم فيدعوه، فيزيده اليقين، ثم يدعو فيدخله الجنة، ثم يدعو فيرفعه الله إلى درجة الرضوان، فنعم الله متسلسلة، وكلما أعطى نعمة أتبعها بنعمة أخرى،وهكذا نرى أن كثرة العطاء تزيد الله كرماً وجوداً وعطاءً، لذلك فلو أعطانا الله نعمة واحدة، فلا يجوز لنا أن نيأس، بل علينا أن ننتظر نعماً أخرى تتلاحق بعدها.

إذ إن عطاء الله الكثير لا يعني أن ربنا سيصبح بخيلاً سبحانه وتعالى عن ذلك، فعطاؤه لا محدود، وجوده لا يقف عند حد.

إن الله يخاطب رسوله محمداً ﷺ الذي جعله من أشرف الخلائق أجمعين وفضله على الأنبياء والمرسلين وأعطاه ما لم يعط أحداً من النعم والشرف والذكر الحسن، حتى قرن اسمه باسمه، يخاطبه قائلاً:

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾(1).

(1) الإسراء: ٧٩.

ويقول له أيضاً:

﴿**وقل ربِّ زدني علماً**﴾[1].

وهذا يعني: أن الله وإن كان قد أعطى رسوله ﷺ هذه النعم الكثيرة إلا أن لا يقول له ربه: كفى، بل يحثه على الدعاء والسؤال حتى يزيده الله من فضله وعطائه، فالله إذن: (**لا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً**..)

أتدري من هو البخيل العاجز الفقير؟

أنه.. نحن، إذا وقف الواحد منا بجانب البحر، ولكنه لم يأخذ شيئاً من الماء، فهل يكون البحر بخيلاً؟ إذا وقف العطشان على شاطئ النهر، ولكنه لم يمد يده ليغترف غرفة ويروي بها ظمأه، فمن هو البخيل: النهر الجاري، أم هذا الإنسان؟

والإنسان الذي لا يطلب الفضل والنعمة من الله، هو البخيل.

أما رب الرحمة فهو واسع العطاء، ولا حدود لجوده وكرمه، فالله يقول: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**..﴾[2] ولكن الإنسان يبخل بهذا الدعاء، فيحرم نفسه من عطاء ربه.

---

(1) طه: ١١٤.

(2) غافر: ٦٠.

وهكذا كلما كان تطلع الإنسان أبعد، وهمته أرفع، كلما استوعب رحمة الله سبحانه وتعالى أكثر، ولذلك فان على الإنسان أن يستغل أوقات الدعاء: ليالي الجمعة، شهر رمضان المبارك، وفي الأسحار، ليمد يده لرحمة الله ولبحر جوده، وان لا يطلب من الله أشياء تافهة وبسيطة، بل عليه أن يطلب كلما عظم من الأمور، ليس لنفسه فحسب، وإنما لإخوانه المؤمنين أيضاً، ومن هنا يقول الفقهاء انه يستحب في صلاة الليل أن يدعو الإنسان لأربعين مؤمناً: «**من قدم أربعين مؤمناً، واستغفر لهم ثم دعا لنفسه يستجيب الله دعاءه فيهم وفي نفسه..**»(١)، فالله تعالى كريم، ويبقى على الإنسان أن يكون كريماً -أيضاً- حينما يدعو ربه، ويطلب منه: (**ولا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً انه هو العزيز الوهاب**) انه القوي القادر المهيمن وهو (الوهاب) الذي لا تنقطع هباته اللامتناهية عن عباده.

بعد سرد هذه المجموعة من النعوت الفاضلة والأسماء الحسنى لله، نواصل الدعاء ونقول:

(**اللهم إني أسألك قليلاً من كثير مع حاجة بي إليه عظيمة، وغناك عنه قديم، وهو عندي كثير، وهو**

(١) بحار الانوار - ج/٩٠/ص٣٨٣

عليك سهل يسير..).

إن ما يطلبه الإنسان من الله مهما كان عظيماً وهاماً في تصوره، إلا انه قليل جداً إذا قيس بملكوت الله وجبروته وقدرته اللامحدودة، ويستطيع الواحد منا أن يعرف هذه الحقيقة من خلال المعادلة التالية: إنني واحد من أربعة آلاف مليون إنسان يعيشون على وجه الكرة الأرضية، وقد عاش قبلهم وسيعيش بعدهم ألوف الملايين، ثم أن هذه الأرض إذا قيست إلى المجرة التي نحن فيها، فانها تشبه الذرة التائهة في صحراء واسعة، والمجرة التي نحن فيها بالنسبة إلى سائر المجرات التي نعرفها هي الأخرى كالذرة التائهة في الفضاء اللامتناهي. وأما الكون الذي نعرفه، فهو بالنسبة إلى رحمة الله يعتبر اصغر من الذرة التائهة، إذن فكل ما نطلبه من الله العلي القدير من المغفرة، والرحمة والعافية، والرزق والفلاح، هو شيء قليل جداً من بحر جوده اللامتناهي، ولكن بالرغم من تفاهة طلباتنا وصغر حجمها بالنسبة إلى رحمة الله الواسعة، فان حاجتنا إليها شديدة: (**مع حاجة بي إليه عظيمة**) إن حاجتنا نحن إلى رحمة الله عظيمة لأننا لا نحصل على احد سواه نسأله من رحمته، كما لا يمكننا أن نتحمل عذاب الله وهجرانه وغضبه إن لم يغفر لنا: (**وغناك عنه قديم**) فكل ما يحتاج إليه الإنسان، فإن الله غني عنه.. فيارب أنت غني عني وعن عذابي، فلماذا تعذبني؟

إنك لا تنقصك المغفرة فلماذا لا تغفر لي؟ وهذه هي لغة الإلحاح في الدعاء، وعلى الإنسان العاجز الضعيف أن يطلب دائماً من ربه بإلحاح وإصرار، لأنه هو المحتاج إلى عطاء ربه، (**وهو عندي كثير، وهو عليك سهل يسير**) إن ما نطلبه من الله كثير عندنا، إلا انه عند الله سهل ويسير، فحينما خلق الله سبحانه وتعالى السموات والأرض بكلمة واحدة وقال لها: كن، هل أصابه تعب أو لغوب؟ كلا.. إن ربنا سبحانه وتعالى أعز وأعلى من أن يعتريه تعب أو لغوب، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الاستجابة لدعواتنا، فإنها أسهل وأيسر من كل شيء على الله سبحانه وتعالى.

(**اللهم إن عفوك عن ذنبي، وتجاوزك عن خطيئتي، وصفحك عن ظلمي، وسترك على قبيح عملي، وحلمك عن كثير جرمي، عندما كان من خطأي وعمدي، أطمعني في أن أسألك ما لا استوجبه منك الذي رزقتني من رحمتك، واريتني من قدرتك، وعرفتني من إجابتك..**).

إن أهم حاجة للإنسان هي أن يرفع الحواجز بينه وبين الله، وان الحاجز الرئيسي بين الإنسان وربه هو حاجز الذنوب، فالله (لا يحتجب عن خلقه إلا أن تحجبهم الذنوب دونه)، إذن فإن السؤال الأول هو أن يعفو الله عن

ذنوبنا، ويتجاوز عن خطيئاتنا، ويصفح عن ظلمنا، ويستر على قبيح أعمالنا، ويحلم عن جرائمنا الكثيرة، والله تعالى يستجيب لنا في كل ذلك ويغمرنا برحمته الواسعة، ولطفه العميم، وهذه الرحمة هي التي تجعلنا نسأل الله أكثر.. فأكثر.. ونمد إليه أيدينا، إننا أذنبنا ذنوباً كثيرة، ولكن الله لم يؤاخذنا بها، ولم يعذبنا بالرغم من استمرارنا على الذنوب، بل العكس هو الصحيح إذ لا تزال رحمته تشملنا من كل جهة ويزيدنا من نعمه، ويلوح لنا بالمغفرة، ويدعونا للتوبة والعودة إليه مهما أذنبنا وأخطأنا.

إن هذه الرحمة من ربنا سبحانه وتعالى تشجعنا على أن نذهب إلى بابه ونسأله، مع أن وجوهنا مسودة بالذنوب، لكن وجهه الكريم هو الذي يجعلنا نسأله سبحانه وتعالى.

إن الله خلق العباد ليرحمهم لا ليعذبهم: (**سبحان من لا يعتدي على أهل مملكته، سبحان من لا يؤاخذ أهل الأرض بألوان العذاب**)، (**اللهم إن عفوك عن ذنبي، وتجاوزك عن خطيئتي وصفحك عن ظلمي وسترك على قبيح عملي، وحلمك عن كثير جرمي، عندما كان من خطأي وعمدي أطمعني**..) كل هذه النعم المتتالية تجعلني اطمع: (**في أن أسألك ما لا استوجبه منك**)، كل تلك التي جعلتني أنا الفقير الذي لا أستوجب رحمتك، أن أطرق

بابك وأسألك من رحمتك الواسعة، (**الذي رزقتني من رحمتك وأريتني من قدرتك، وعرفتني من إجابتك**) فكم من المرات، ييأس الإنسان من الحياة، ويعجز عن حل مشاكله، إلا أنه باللجوء إلى الله، والطلب منه، تتفتح عليه أبواب رحمة الله، ويريه من قدرته ليزداد إيماناً، ويعرّفه من إجابته لكي لا ييأس بعد ذلك من شيء، ويعتمد على الله في حل مشاكله.

(**فصرت أدعوك آمناً وأسألك مستأنساً، لا خائفاً ولا وجلاً، مدلاً عليك فيما قصدت فيه إليك، فان أبطأ عني عتبت بجهلي عليك، ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور**).

حينما يرتكب الإنسان خطأ تجاه صديقه، أو من هو أكبر منه في أي مجال من مجالات الحياة، ويحاول أن يعتذر عن ذلك الخطأ، تنتابه حالة من القلق: هل سيقبل الطرف الآخر عذره، أم أنه سيرده على إعقابه؟ إلا أننا بإزاء الله سبحانه وتعالى، وبالرغم من كل ذنوبنا، وأخطائنا، ومعاصينا، لا نعيش هذا القلق، بل ندعوه وقلوبنا مطمئنة، ونسأله المغفرة ونحن نشعر بالأمن: (**فصرت ادعوك آمناً وأسألك مستأنساً**) ولكن بالإضافة إلى حالة الاطمئنان والأمن القلبي، فإنني (مستأنس) أيضاً، لأنني أعرف أنني مُقبل على مناهل رحمة الله وينابيع عفوه

ومغفرته، وسوف ارتوي منها بكل راحة وأُنس (**لا خائفاً ولا وجلاً**)، فما دمت أدعو الرب الرحيم الذي يحب عباده فلا داعي للخوف والوجل، إلا أن الإنسان المذنب المقصر يذهب ابعد من هذا: (**مدلاً عليك فيما قصدت فيه إليك**) فهو يتدلل على ربه، ولكن كيف؟

(**فإن أبطأ عني عتبت بجهلي عليك**) فقد يتأخر الله في الاستجابة لدعوات الإنسان المذنب العاصي لسبب من الأسباب، فينبري بجهله وغروره معاتباً ربه: (**ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي**) فنحن لا نعرف كامل مصالحنا ولا نعرف الحكمة وراء عدم استجابة الله سبحانه وتعالى لبعض دعواتنا، فقد يطلب احدنا من ربه أن يرزقه مالاً كثيراً، أو يعطيه سلطة وحكومة، من دون أن يعرف أن المال الكثير، والسلطة تفسده وتجعله ينسى نفسه ويطغى على الآخرين وبذلك يستحق عذاب الله الشديد، إذن فقد يكون التأخر في الاستجابة لبعض دعواتنا لأجل مصلحتنا التي لا نستطيع أن نعرفها.



٤ـ علاقة الإنسان.. بالله

(...فَلَمْ أَرَ مَوْلىً كَرِيماً أَصْبَرَ عَلَى عَبْدٍ لَئِيْمٍ مِنكَ عَلَيَّ يا رَبِّ إِنَّكَ تَدْعُونِي فَأُوَلِّي عَنْكَ وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَأَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ وَتَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلا أَقْبَلُ مِنْكَ كَأَنَّ لِي التَّطَوُّلَ عَلَيْكَ فَلَمْ يَمْنَعْكَ ذَلِكَ مِنْ الرَّحْمَةِ لِي وَالإِحْسَانِ إِلَيَّ وَالتَّفَضُّلِ عَلَيَّ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ فَارْحَمْ عَبْدَكَ الجَاهِلَ وَجُدْ عَلَيْهِ بِفَضْلِ إِحْسَانِكَ إِنَّكَ جَوادٌ كَرِيمٌ. الْحَمْدُ لِلَّهِ مَالِكَ الْمُلْكِ مَجْرِي الفُلْكِ مُسَخِّرِ الرِّيَاحِ فَالِقِ الإِصْبَاحِ دَيَّانِ الدِّينِ رَبِّ العَالَمِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ والْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ والْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طُولِ أَنَاتِهِ فِي غَضَبِهِ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى مَا يُرِيدُ ...).



(... **فلم أرَ مولىً كريماً أصبر على عبدٍ لئيم منك عليّ يا رب، إنكَ، تدعوني فأولي عنك، وتتحببُ إلي فأتبغضُ إليك، وتتوددُ إليّ فلا أقبلُ منك**..).

إن العلاقة بين الإنسان وربه، علاقة غريبة، فبينما الإنسان هو المحتاج والفقير، والمفروض أن يكون هو الذي يسعى نحو ربه ويفتش عن الوسائل التي تقربه إليه زلفى، نجد أن العكس هو الصحيح في أكثر الأحيان، إذ إن الله تعالى هو الذي يدعو الإنسان ويتحبب إليه، بينما الإنسان يرفض الاستجابة، ويبتعد عن الله استجابة لضغوط الأهواء، والشهوات، ومتع الحياة، وهذه الفقرة من دعاء (الافتتاح) تسلط الضوء على هذه المفارقة الغريبة في علاقة الإنسان بربه:

(... **فلم أرَ مولىً كريماً أصبر على عبدٍ لئيم منك عليّ يا رب**).

بالرغم من حاجة الإنسان إليه وعبوديته له، وبالرغم

من لؤمه الذي يتجلى في ارتكاب الذنوب والإصرار على المعاصي، إلا أن الله يصبر عليه وعلى ذنوبه وأخطائه، فلا يوجد أصبر من الله على عباده المذنبين، والدليل على ذلك هو: (**إنك تدعوني فأولّي عنك**)، فكم يحدث أن الله تعالى يدعونا للصلاة مثلاً عبر المؤذن الذي ينادي في أوقات الفرائض: حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على خير العمل، إلا أننا لا نستجيب، ونبقى مشغولين بالأعمال التافهة؟

فالله يدعونا ونحن نوليّ عنه.

(**وتتحبب إلي فأتبغض إليك**)، فالله يحبك ويريدك أن تحبه، يريد أن تكون بينك وبينه علاقة حب متبادلة، ورب العزة بيده كل شيء، وهو يتفضل عليك بالنعم المتواترة حتى تحبه، ويريدك أن تخضع له وتعبده، وتطيع تعاليمه حتى يحبك، إلا أنك ترفض ذلك عمليا: (**وتتحبب إلي فأتبغض إليك**)، فكلما يهدي الله إلينا هدايا طيبة حتى نحبه، نحن نعكس الأمر ونرسل له بذنوبنا، وفي دعاء أبي حمزة الثمالي:

«**ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنا بعمل قبيح**».

(**وتتودد إلي فلا أقبل منك**)، يرسل الله للإنسان

رسالة الحب والود، إلا أن الإنسان لا يقبل بذلك ويردها دون أن يفتح الرسالة، والقرآن هو رسالة الله للإنسان، فكم نحن نقرأ القرآن؟

وإذا قرأنا القرآن في شهر رمضان المبارك كعادة موروثة، فهل نتدبر في آياته، أم أن كل اهتمامنا ينصب على كمية الآيات والسور التي نقرؤها في كل يوم؟

(**كأن لي التطول عليك، فلم يمنعك ذلك من الرحمة بي، والإحسانِ إليّ والتفضل عليّ بجودك وكرمكَ، فارحم عبدك الجاهل، وجُد عليه بفضل إحسانك إنك جوادٌ كريم**..).

(**فأرحم عبدك الجاهل، وجد عليه بفضل إحسانك، إنك جواد كريم**..)

هذا الإنسان العاجز الضعيف الذي لا يستطيع أن يواصل الحياة لحظة واحدة من دون نعم الله، وألطافه، ومن دون حب الله ووده، يرفض تحبب الله وتودده، وكأن له اليد العليا على خالق الكون، وله الفضل والطول عليه: (**كأن لي التطول عليك**) إلا أن هذا النوع من العلاقة السلبية التي يقيمها الإنسان بينه وبين ربه لا يمنع الله من مواصلة الرحمة والنعمة للإنسان: (**فلم يمنعك ذلك من الرحمة بي والإحسان إلي، والتفضل علي بجودك**

وكرمك).

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي أيضاً نقرأ مثل هذه الفقرات:

(**الحمد لله الذي أدعوه فيجيبني وان كنت بطيئاً حين يدعوني، والحمد لله الذي أسأله فيعطيني، وان كنت بخيلاً حين يستقرضني.. الحمد لله الذي لا أدعو غيره ولو دعوت غيره لم يستجب لي دعائي، والحمد لله الذي لا أرجو غيره ولو رجوت غيره لأخلف رجائي.. فربي احمد شيء عندي وأحق بحمدي**).

وهكذا تحكم بني آدم هذه المفارقة: كلما غمره الله بلطفه ورحمته كلما رد الإنسان بالذنب والجفاء، والإنسان إنما يرتكب الذنب تحت ضغط الشهوات، ويقع في الخطأ بسبب طبيعته، والله تعالى يغفر له ذلك.

أما الجفاء فهو أسوأ من الذنب بكثير، وهو يعني أن لا يسأل الإنسان ربه، ولا يدعوه في شيء، ولا يستغفره من ذنوبه، وإذا جافى الإنسان ربه وقاطعه، فإلى من يلجأ؟ وهل هناك غير الله نلتمس منه حوائجنا، ونلجأ إليه في الرخاء والشدة؟

نحن نحيا بلطف الله ورحمته، ونعيش على أرضه وتحت سمائه، وبيده كل حركاتنا وسكناتنا، فكيف إذن

نقاطعه ونجافيه؟

«روي أن الحسين عليه السلام جاءه رجل وقال: أنا رجل عاصٍ، ولا أصبر على المعصية، فعظني بموعظة، فقال عليه السلام: أفعل خمسة أشياء وأذنب ما شئت. فأول ذلك: لا تأكل رزق الله وأذنب ما شئت، والثاني أخرج من ولاية الله وأذنب ما شئت، والثالث: اطلب موضعاً لا يراك الله وأذنب ما شئت، والرابع: إذا جاء ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفسك وأذنب ما شئت، والخامس: إذا أدخلك مالك في النار فلا تدخل في النار وأذنب ما شئت»[1].

(**فأرحم عبدك الجاهل، وجد عليه بفضل إحسانك إنك جواد كريم**).

وهكذا يتضرع الإنسان إلى ربه طالباً رحمته، ومعترفاً بجهله، وحاجته الملحة إلى فضل الله وإحسانه، وبهذا التضرع ينتهي القسم الأول من دعاء الافتتاح، وكما قلنا سابقاً: إن الأدعية المأثورة تبدأ عادة بحمد الله وتنزيهه وتسبيحه، ثم بعد ذلك يأتي دور التضرع لله وطلب الحاجة منه، لذلك فإن القسم الأول من دعاء الافتتاح ابتدأ بالحمد والثناء والتسبيح ثم انتقل إلى الطلب

(١) بحار الأنوار ـ٧٨/ص١٢٦.

والتضرع، وهكذا أيضاً يبتدأ القسم الثاني برحلة جديدة في الحمد والتسبيح والتنزيه، ثم ينتقل بعدئذ إلى الطلب، وفي هذا القسم يبدأ الطلب بالصلاة على النبي محمد ﷺ ثم الصلاة على الأئمة المعصومين عليهم السلام وفي نهاية الدعاء نجد مجموعة من الطلبات الاستراتيجية الهامة التي تتعلق بمصير الإنسان في الحياة، وبواقعه السياسي وبقضايا المواجهة مع أعداء الأمة الإسلامية.

(**الحمد لله مالكِ الملك، مجري الفلك، مسخرِ الرياح، فالق الإصباح، ديان الدين، رب العالمين**).

ربما يكون هنالك فرق بين معرفة الله، وبين مجرد الإيمان بالله، فحالة (المعرفة) هي حالة متقدمة عن الإيمان، إذ إن (المعرفة) هي الرؤية القلبية المباشرة، وحالة المعرفة والعرفان هي حالة الاتصال الغيبي بين قلب الإنسان وبين رب الإنسان، فكيف تحصل حالة العرفان هذه؟ إن من وسائل الوصول إلى حالة العرفان هو الإيمان التفصيلي، أو تفصيلات الإيمان، فنحن بصورة مجملة مؤمنون بان هذا الكون الواسع قد خلقه الله سبحانه وتعالى وانه هو الذي يدبر أموره، هذا هو الإيمان، أما إذا أراد الإنسان أن يصل إلى (معرفة الله) وإلى اتصال قلبه بالله والى درجة اليقين، فإن عليه أن يفصِّل هذا الإيمان المجمل، وان يتوجه إلى كل جزء من مخلوقات الله في الكون ويتدبر في خلقه وصنعه،

فيتدبر في خلق الله لهذا الكون، وهذه الشجرة، وهذا البستان، وهذه الشمس، وهذا القمر، وهذه النجمة، وهذه الكرة، وهكذا.. حتى ينبعث في قلب الإنسان نور اليقين، وتغمره حالة المعرفة، ويصل إلى ما وصل إليه الإمام علي عليه السلام الذي يقول حسب ما روي عنه:

(ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله ومعه وبعده)

فكل شيء يراه الإنسان يتجلى فيه اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى فحينما يرى الشجرة لا يفكر في ثمرتها وقيمتها فقط، بل يفكر أيضاً في إتقان الصنع وإبداع الخلق وجمال الصورة ونظام الحياة، ومن خلال إتقان الصنع يصل الإنسان إلى اسم الله البديع المدبر، ومن خلال قوة ومتانة الصنع يقول: سبحان الله القوي القدير، ومن خلال تفاعل الشجرة مع الكون، يقول سبحان الله مدبر الأمور، المقدر الحكيم. فإذن كل شيء يهدي الإنسان العارف إلى اسم من أسماء الله، وإذا عرف الإنسان ربه عبر أسمائه الحسنى سبحانه، فإنه يزداد تألقاً في سماء الإيمان كلما عرف اسماً جديداً من أسماء الله عز وجل، ويرتقي درجة جديدة من درجات اليقين.

من هنا نجد أن القسم الثاني من (دعاء الافتتاح) يبدأ بحمد الله وثنائه مشيراً إلى تفاصيل الإبداع والإتقان في الخلق، في محاولة لدفع الإنسان المؤمن إلى المزيد من التدبر

والتفكر في صنع الله ليكسب المزيد من اليقين والمعرفة: (**الحمد لله مالك الملك**) فالملك كله لله: (**مجري الفلك**) إن كل شيء في هذا الكون يجري ويدور، فالأرض تدور حول نفسها وتدور حول الشمس، والشمس بذاتها تدور وتتحرك والكرات كلها في حالة دوران مستمر فمن الذي يجريها ويحركها؟ هو الله سبحانه وتعالى! هذا هو احد المعاني لجريان الفلك، أما المعنى الآخر فهو: السفينة، فالله تعالى هو الذي يجريها وسط البحار المتلاطمة بواسطة القوانين الطبيعية التي وضعها رب العالمين: (**مسخر الرياح**) إننا نعرف بان حركة الرياح إنما هي بسبب تحولات تحدث في الشمس، فالرياح تحدث في الأرض إذا حدث انفجار ما في عمق الشمس، ولكن الأمر هو ابعد وادق من ذلك، فالرياح تتحرك بانتظام دقيق، وهي التي تدير الكثير من شؤون الكون، والرياح مثل رسل الله سبحانه وتعالى، تلقح الأشجار وتكشف السحب وتغير الهواء وتجري السفن في أعالي البحار ومئات العمليات الأخرى التي تقوم بها الرياح، فمن الذي ينظمها ويهديها ويحركها غير الله سبحانه وتعالى؟ وبعض الرياح تكون رياح عذاب حينما تهب على القرية المذنبة وتبيدها عن آخرها، بينما القرية القريبة منها تكون بعيدة عن تأثيرات الرياح، إن الرياح لا تعقل شيئاً، فمن الذي يوجهها، ويحركها حسب مصلحة معينة غير الله تعالى؟

(**فالق الإصباح**) وهو الذي فلق الصبح وجعله ينفجر من ضمير الظلام الدامس لتتنفس الحياة، وتدور عجلة البشرية في نشاط دائب، (**ديان الدين رب العالمين**) والله هو الذي يعطي جزاء الناس ويحاسبهم على كل صغيرة وكبيرة، لأنه رب العالمين.

(**الحمد لله على حلمه بعد علمه، والحمد لله على عفوه بعد قدرته، والحمد لله على طول أناته في غضبه وهو قادر على ما يريد**..)

في هذه الفقرة من الدعاء نجد مظاهر أخرى من المفارقة السابقة التي ذكرناها في علاقة الإنسان بربه، فالله تعالى يحلم عن الإنسان المذنب العاصي بالرغم من علمه بكل ذلك، فأنت قد تغتاب شخصاً لا يسمعك، ولكن الله يراك ويسمعك، وما من ذنب يرتكبه الإنسان إلا ويراقبه الله ويراه، جاء في حديث شريف أن إبراهيم النبي عليه الصلاة والسلام أراه الله ملكوت السموات والأرض وكشف عن بصره الغطاء، فرأى كل ما يدور من أحداث: رأى رجلاً يزني بامرأة في مكان ما، وآخر يسرق من بيت ما، وثالث يعتدي على صاحبه ويقتله، وهكذا مجموعة كبيرة من الذنوب والمعاصي، وكان النبي يرى كل ذلك ويملأه العجب، وهو نبي معصوم ويخشى الله سبحانه وتعالى، ويعرف الله حق معرفته.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إن إبراهيم الخليل لما رفع في الملكوت، وذلك قول ربي: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ قوى الله بصره لما رفعه دون السماء حتى أبصر الأرض ومن عليها ظاهرين ومستترين، فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة، فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما فهلكا، ثم رأى آخرين فهم بالدعاء عليهما بالهلاك، فأوحى الله إليه:

يا إبراهيم اكفف دعوتك عن عبادي وإمائي فإني أنا الغفور الرحيم، الجبار الحليم، لا تضرني ذنوب عبادي كما لا تنفعني طاعتهم، ولست اسوسهم بشفاء الغيظ كسياستك، فاكفف دعوتك عن عبادي فإنما أنت عبد نذير، لا شريك في المملكة، ولا مهيمن عليّ ولا على عبادي، وعبادي معي بين خلال ثلاث: إما تابوا إليّ فتبت عليهم وغفرت ذنوبهم، وسترت عيوبهم، وإما كففت عنهم عذابي لعلمي بأنه سيخرج من أصلابهم ذريات مؤمنون، فارفق بالآباء الكافرين، وأتأنى بالأمهات الكافرات، وارفع عنهم عذابي ليخرج ذلك المؤمن من أصلابهم، فإذا تزايلوا حق بهم عذابي، وحاق

بهم بلائي، وإن لم يكن هذا ولا هذا فإن الذي أعددته لهم من عذابي أعظم مما تريدهم به، فإن عذابي لعبادي علي حسب جلالي وكبريائي..

يا إبراهيم فخلّ بيني وبين عبادي فإني أرحم بهم منك، وخلّ بيني وبين عبادي فاني أنا الجبار الحليم، العلام الحكيم، أدبرهم بعلمي، وأنفذ فيهم قضائي وقدري»[1].

وهكذا نجد أن الله تعالى يحلم عن عباده بعد علمه بكل معاصيهم، وهو قادر على أن يأخذهم إلا أنه يعفو عنهم (**الحمد لله على عفوه بعد قدرته**)، وكذلك يصبر الله طويلاً على عبده ولا ينزل عليه غضبه، فقد يمهل الله إنساناً عشرات السنين وهو سادر في الذنوب والمعاصي لعله يهتدي في النهاية ويعود إلى رشده (**والحمد لله على طول أناته في غضبه**) كل ذلك (**وهو قادر على ما يريد**) ولان الله يعفو، ويحلم ويصبر على المذنبين بالرغم من قدرته وجبروته، كان العفو، والحلم، والصبر من أسمائه الحسنى.

(١) بحار الأنوار ـ ١٢/ص٦٠.

٥ـ الدعاء ومعالجة الغيب والشهود

(...الْحَمْدُ للّه خَالِقِ الْخَلْقِ باسط الرِّزْق فالِقِ الإصْبَاحِ ذِي الجَلال والإكْرَامِ والفَضْلِ والإنْعَامِ الَّذِي بَعُدَ فَلا يُرَى وَقَرُبَ فَشَهِدَ النَّجْوَى تَبارَكَ وَتَعالَى الْحَمْدُ لله الَّذي لَيْسَ لَهُ مُنازِعٌ يُعادِلُهُ ولا شَبِيهٌ يُشَاكِلُهُ ولا ظَهِيرٌ يُعَاضِدُهُ قَهَرَ بعزَّته الأَعِزَّاءَ وَتَواضَعَ لِعَظَمَتِهِ العُظَمَاءُ فَبَلَغَ بِقُدْرَتِهِ ما يَشَاءُ..).

(**الحمدُ لله خالقِ الخلق، باسط الرزق، فالقِ الإصباح، ذي الجلال والإكرام، والفضل والإنعام، الذي بَعُد فلا يُرى، وقرُبَ فشهِد النجوى.. تبارَك وتعالى**).

إن التأمل في هذه الفقرة من الدعاء يصل بنا إلى عدة أفكار من أبرزها ما يلي:

الفكرة الأولى: أن هناك علاقة وثيقة بين (خالق الخلق) و(باسط الرزق)، إذ إنه حسب ما يبدو لنا من آيات القرآن الحكيم ومن التدبر في طبيعة الكون الذي نعيشه، هو أن خلق الله سبحانه وتعالى للأشياء لم يكن بتحويلها من العدم إلى الوجود، بل إن ذات الأشياء لا تزال هي: العدم. إنما الله تعالى رش عليها وميضاً من نور الوجود، فهي موجودة بالله، قائمة به، وربنا هو القيوم على كل شيء ولو أن ربنا ترك الموجودات لحظة واحدة لانعدمت، ولم يبقَ منها شيء. إن كل هذه السموات العملاقة، وهذا الفضاء اللامتناهي بما فيه من مجرات

هائلة، إنما هي قائمة بإذن الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرض أَن تَزُولاَ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾[1].

إن مفهوم العطاء المستمر والفيض المستمر، هو مفهوم يتناسب مع الرزق، لأن الذي أعطى الوجود للأشياء لا يزال يعطي لها تكامل هذا الوجود، واستمراريته واحتياجاته بصورة منتظمة.

إن وجودنا بحاجة في استمراره إلى الله سبحانه وتعالى، والوجه الظاهر لهذه الحقيقة هو رزق الله سبحانه وتعالى، فلو امسك الله رزقه عنا، لو امسك هذا الأوكسجين الذي نتنفسه، وهذا الأكل الذي نتغذى به ومن خلاله تنمو خلايا وأنسجة جسمنا، لكان مصيرنا الموت بالطبع، ليس الموت وحده، بل والتفتت والتحول إلى تراب.

إذن فلو أمسك الله تعالى عن الخلق رزقه المستمر، والعطاء المتواصل لانتهى المخلوق، من هنا نكشف مدى العلاقة بين الأمرين:

(خالق الخلق) و(باسط الرزق) فالذي خلق الخلق

(1) فاطر: ٤١.

هو الذي يبسط الرزق وينشره، والرزق هنا هو اشمل مما يتصوره الإنسان في الوهلة الأولى، إذ إنه يشمل كل مقومات الوجود واستمرارية الحياة، (**فالق الإصباح**) وهذا هو الآخر يرتبط بقضية الرزق واستمراريته، إذ إن الصباح هو خير فرصة للجميع للتحرك والسعي لاكتساب الرزق، والله هو الذي يغلق الصبح ويفجره ليتنفس من بطن الظلام: (**فالق الإصباح، ذي الجلال والإكرام**)..

الفكرة الثانية: أن الرؤية الإسلامية هي رؤية عمومية كلية تربط الموجودات الظاهرة بالغيبيات الباطنة.. والحقائق المركبة بالحقائق المجردة، وهذه الفكرة تتجلى في هذه الفقرة من الدعاء، حيث يربط بين الخلق الأول الذي لم نشهده، وبين الرزق المبسوط المتجدد الذي نراه ونلمسه كلّ لحظة، وهذا الرزق المشهود هو خير دليل على ذلك الخلق الغيبي، وهكذا يربط الدعاء بين ذلك الغيب وهذا الشهود، بين ذلك الماضي وهذا الحاضر، بين ذلك الذي لم نره وهذا الذي لا نزال نراه في كل لحظة، هذا من جهة..

ومن جهة أخرى، نرى أن هذه الفقرة تربط بين الخلق الأول والرزق المتجدد وفلق الإصباح وجلال الله وإكرامه كمجموعة مترابطة من الحقائق، وبين أن ربنا قريب يسمع النجوى، وبعيد بجلاله وعظمته فهو قريب

من جهة، بعيد من جهة أخرى، قريب لأنه مهيمن، محيط سميع بصير، وبعيد لأنه عظيم جليل لا يشبه خلقه، يقول الدعاء: (**الذي بَعُدَ فلا يُرى**) هل يستطيع الإنسان المحدود أن يرى الله؟ سبحانه وتعالى من أن يُرى، إنه بعيد من هذه الناحية، بعيد عن رؤية العين وبعيد عن أوهام الخيال (**وقرُب فشهد النجوى**) لو ناجى الإنسان صاحبه بصوت منخفض لا يسمعه أحد، فإن الله سبحانه وتعالى يسمعه قبل صاحبه، ولذلك فهو من هذه الجهة قريب إلى الإنسان، بل هو أقرب إليه من حبل الوريد: (**وقَرُبَ فشهد النجوى تبارك وتعالى..**)..

إن تبارك يرمز إلى سلسلة من أسماء الله الخالق الرازق الباسط القابض. واسم تعالى يرمز إلى سلسلة أخرى من أسماء الله: سبوح قدوس منزه، وكل الأسماء التي تنتهي إلى تقديس الله..

(**الحمد لله الذي ليس له منازع يعادله، ولا شبيه يشاكله، ولا ظهير يعاضده، قهر بعزته الأعزاء، وتواضع لعظمته العظماء، فبلغَ بقدرته ما يشاء**).

جاء في حديث مروي عن الإمام علي عليه الصلاة والسلام أنه قال في صفة المؤمنين: «**عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم**» هذه المعادلة تتجلى في قلوب المؤمنين الصادقين فكلما عظم الخالق في

أنفسهم، كلما صغرت الخلائق في أعينهم، ووجدوا ما دون الله، تافهاً لا يساوي شيئاً ولا يقدر على شيء، لذلك فان قلوبهم لا تتعلق بحطام الدنيا، ولا يدخل فيها حب الماديات.. بل حب ما سوى الله.

وفي بعض الكتب: إن عيسى عليه السلام كان مع بعض الحواريين في بعض سياحته، فمروا على بلد، فلما قربوا منه وجدوا كنزاً على الطريق، فقال من معهً: ائذن لنا يا روح الله أن نقيم ههنا ونجد ونحوز هذا الكنز لئلا يضيع، فقال عليه السلام لهم: أقيموا ههنا وأنا أدخل البلد ولي فيه كنز أطلبه، فلما دخل البلد، وجال فيه رأى داراً خربة فدخلها فوجد فيها عجوزاً، فقال لها: أنا ضيفك في هذه الليلة، وهل في هذه الدار أحد غيرك، قالت: نعم لي ابن مات أبوه وبقي يتيماً في حجري، وهو يذهب إلى الصحاري ويجمع الشوك ويأتي البلد فيبيعها، ويأتيني بثمنها نتعيش به، فهيأت لعيسى عليه السلام بيتاً، فلما جاء ولدها قالت له: بعث الله لنا في هذه الليلة ضيفاً صالحاً. يسطع من جبينه أنوار الزهد والصلاح، فاغتنم خدمته وصحبته، فدخل الابن على عيسى عليه السلام، وخدمه وأكرمه، فلما كان في بعض الليل سأل عيسى عليه السلام الغلام عن حاله ومعيشته وغيرها، فتفرس عليه السلام فيه آثار العقل والفطانة والاستعداد للترقي على مدارج الكمال، لكن وجد فيه أن قلبه مشغول بهم عظيم، فقال له: يا غلام أرى قلبك

مشغولاً بهمٍّ لا يبرح فاخبرني به لعله يكون عندي دواء دائك، فلما بالغ عيسى عليه السلام قال: نعم في قلبي همٌّ وداء لا يقدر على دوائه أحد إلا الله تعالى، فقال: أخبرني به لعل الله يلهمني ما يزيله عنك، فقال الغلام: إني كنت يوماً احمل الشوك إلى البلد فمررت بقصر ابنة الملك فنظرت إلى القصر، فوقع نظري عليها فدخل حبّها شغاف قلبي، وهو يزداد كل يوم ولا أرى لذلك دواء إلا الموت، فقال عيسى عليه السلام: إن كنت تريدها أنا أحتال لك حتى تتزوجها، فجاء الغلام إلى أمه، واخبرها بقوله، فقالت أمه: يا ولدي. إني لا أظن هذا الرجل يعد بشيء لا يمكنه الوفاء به، فاسمع له وأطعه في كل ما يقول: فلما أصبحوا قال عيسى عليه السلام للغلام: اذهب إلى باب الملك فإذا أتى خواص الملك ووزراؤه ليدخلوا عليه، قل لهم: أبلغوا الملك عني أني جئته خاطباً كريمته، ثم ائتني وأخبرني بما جرى بينك وبين الملك، فأتى الغلام باب الملك، فلما قال ذلك لخاصة الملك. ضحكوا وتعجبوا من قوله، ودخلوا على الملك، وأخبروه بما قال الغلام مستهزئين به، فاستحضره الملك، فلما دخل عليه وخطب ابنته قال الملك مستهزئاً به: أنا لا أعطيك ابنتي إلا أن تأتيني من اللآلئ واليواقيت والجواهر الكبار كذا وكذا.. ووصف له ما لا يوجد في خزانة ملك من ملوك الدنيا. فقال الغلام: أنا أذهب وآتيك بجواب هذا الكلام، فرجع إلى عيسى عليه السلام فاخبره بما جرى، فذهب

عيسى عليه السلام به إلى خربة كانت فيها أحجار ومدر كبار، فدعا الله تعالى فصيّرها كلها من جنس ما طلب الملك وأحسن منها، فقال: يا غلام خذ منها ما تريد واذهب به إلى الملك، فلما أتى الملك بها تحيّر الملك وأهل مجلسه في أمره، وقالوا: لا يكفينا هذا، فرجع إلى عيسى عليه السلام فاخبره، فقال: اذهب إلى الخربة وخذ منها ما تريد، واذهب بها إليهم، فلما رجع بأضعاف ما أتى به أولاً زادت حيرتهم، وقال الملك: إن لهذا شأناً غريباً، فخلا بالغلام واستخبره عن الحال، فاخبره بكل ما جرى بينه وبين عيسى عليه السلام، وما كان من عشقه لابنته، فعلم الملك أن الضيف هو عيسى عليه السلام، فقال: قل لضيفك يأتيني ويزوجك ابنتي، فحضر عيسى عليه السلام وزوجها منه، وبعث الملك ثياباً فاخرة إلى الغلام فألبسها إياه، وجمع بينه وبين ابنته تلك الليلة، فلما أصبح طلب الغلام وكلّمه فوجده عاقلاً فهماً ذكياً، ولم يكن للملك ولد غير هذه الابنة، فجعل الغلام ولي عهده ووارث ملكه، وأمر خواصه وأعيان مملكته ببيعته وطاعته.

فلما كانت الليلة الثانية مات الملك فجأة، وأجلسوا الغلام على سرير الملك، وأطاعوه، وسلموا إليه خزائنه، فأتاه عيسى عليه السلام في اليوم الثالث ليودّعه، فقال الغلام: أيها الحكيم إن لك عليّ حقوقاً لا أقوم بشكر واحد منها لو بقيت أبد الدهر، ولكن عرض في قلبي البارحة أمر لو

لم تجبني عنه لا أنتفع بشيء مما حصّلتها لي. فقال: وما هو؟

قال الغلام: إنك إذا قدرت على أن تنقلني من تلك الحالة الخسيسة إلى هذه الدرجة الرفيعة في يومين فلم لا تفعل هذا بنفسك، وأراك في تلك الثياب، وهذه الحالة، فلما احضى في السؤال. قال عيسى عليه السلام: إن العالم بالله وبدار كرامته، وثوابه، والبصير بفناء الدنيا وخستها ودناءتها، لا يرغب إلى هذا الملك الزائل، وهذه الأمور الفانية، وإن لنا في قربه تعالى، ومعرفته ومحبته لذّات روحانية، لا نعد تلك اللذات الفانية عندها شيئاً.

فلما أخبره بعيوب الدنيا وآفاتها ونعيم الآخرة ودرجاتها، قال الغلام: فلي عليك حجة أخرى، لم اخترت لنفسك ما هو أولى وأحرى، وأوقعتني في هذه البلية الكبرى؟

فقال له عيسى عليه السلام: إنما اخترت لك ذلك لامتحنك في عقلك وذكائك، وليكون لك الثواب في ترك هذه الأمور الميسرة لك أكثر وأوفى، وتكون حجة على غيرك.

فترك الغلام الملك، ولبس أثوابه البالية، وتبع عيسى عليه السلام فلما رجع عيسى إلى الحواريين. قال: هذا كنزي الذي كنت أظنه في هذا البلد فوجدته والحمد لله[1].

---

(١) بحار الأنوار١٤/ص٢٨٠.

وحينما تتجلى عظمة الله في نفس الإنسان وتصغر الدنيا في عينه، فان كل مصائب الدنيا ومشاكلها تهون أمامه، من هنا نرى أن الأنبياء العظام يضربون للبشرية خير الأمثلة في الصبر، والاستقامة، والتحدي، ومقاومة الضغوط والمشاكل، ذلك لأنه عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فالنبي إبراهيم عليه الصلاة والسلام، يستجيب لنداء ربه، ويُقدم على ذبح ابنه،ثم بعد ذلك يترك ذريته في أرض لا زرع فيها ولا ضرع، وفي المواجهة مع الطاغوت يُرمى به في لهيب النار، فلا يتكلم ولا حتى بكلمة واحدة، وكذلك النبي نوح الذي صبر تسعمائة وخمسين عاماً يدعو قومه، وهكذا بالنسبة إلى بقية الرسل والأنبياء فمن أين حصلوا على هذا التعالي والتكامل؟ كيف تساموا على الدنيا وما فيها؟ كيف استقاموا؟ إن وراءهم ينبوعاً من النور والإرادة، ينبوعاً من القوة.

إنه ينبوع الإيمان بالله، فقد تجلت عظمة الله في أنفسهم فهانت عليهم الدنيا. ونحن بدورنا مدعوون لكي نعمق هذا الإيمان إلى درجة الاستهانة بكل الصعاب والمشاكل. إن الإيمان العميق هو الذي يمنح الإنسان قدرة فائقة على الصمود في سجون الطغاة ومقاومة فريدة لكل أساليب التعذيب. والإيمان هو الذي يجعل المؤمن المجاهد يستقبل حكم الإعدام بابتسامة عريضة، لأن المشنقة سوف

تعرج به إلى الله سبحانه وتعالى.

إن الإيمان بالله وعظمته لا يجعلنا نفقد توازننا واستقامتنا في لحظات المواجهة الحاسمة مع الحياة.

والفقرة التالية من الدعاء تشير إلى هذه الفكرة: (**الحمد لله الذي ليس له منازع يعادله ولا شبيه يشاكله**)، فليس هناك من ينازع الله، ويكون عدلاً له، ولا شبيه يشبه ربنا (**ولا ظهير يعاضده**) ثم يقول الدعاء: (**قهر بعزته الأعزاء**) فكل الأعزاء أذلة ومقهورون لجبار السموات والأرض، (**وتواضع لعظمته العظماء، فبلغ بقدرته ما يشاء**)، إن قدرة الله تعالى لا متناهية، وهي تحيط بكل شيء، وبكل ما يشاء ربنا العزيز القدير.

٦ـ حاجة الإنسان إلى الله

(.. الحمدُ لله الذي يُجيبُني حين أُناديه، ويَسْتُرُ علَيّ كُلَ عَوْرَةٍ وَأَنا اَعْصيه، وَيُعَظّمُ النعمةَ عليّ فلا أُجازيه، فَكَم مِن مَوْهبَةٍ هَنيئةٍ قَدْ أَعْطاني، وعَظيمةٍ مَخُوفَةٍ قَدْ كفاني، وبَهْجَةٍ مُونقَةٍ قَدْ أَراني، فَأثني عليه حامداً، وَاَذكُرُهُ مُسَبِّحاً، الحمدُ لله الذي لا يُهْتَكُ حجابُه، ولا يُغْلَقُ بابه، ولاَ يُرَدُّ سائِلُه، ولا يُخَيَّبُ آمِلُه...).

يتجلى ذكر الله سبحانه وتعالى، عندما يذكر الإنسان أسماءه الحسنى، ويذكِّر نفسه في ذات الوقت باضطراره وضعفه وحاجته إلى الله سبحانه، فلو استطاع الإنسان أن يعرف نفسه، وأن يصل بمعرفته لنفسه درجة يعلم بها أن كلما أصابه من خير فهو من الله، وما أصابه من شر فهو من نفسه، ويعلم بها أن طبيعته مرتكزة في وحل الضعف والعدم والعجز والعجل، لو وصل الإنسان إلى هذا المستوى من المعرفة، لوصل إلى قمة العبودية وذروة الطاعة له، فالله سبحانه وتعالى يريد أن يعرفك نفسك من خلال أعمالك الصالحة، وإذا عرفت نفسك معرفة حقيقية فانك تستطيع أن تعرف ربك أيضاً:

«**من عرف نفسه فقد عرف ربه**».

وبالطبع ليست العملية بهذه السهولة ـكما قد يتصور بعض الناسـ إذ إن وصول الإنسان إلى هذا المستوى من المعرفة بحاجة إلى عمل كثير ومركز ومستمر

ولكن كيف؟

نستطيع تحديد الإجابة من خلال ما جاء في بعض الأحاديث من: أن الأرواح خلقت قبل الأجسام بألفي عام، وأنها كانت موجودة في عالم الأشباح وهذا العالم يختلف عن عالم الذر، ثم انتقلت إلى عالم الذر، ومن عالم الذر إلى عالم النسل ومن عالم النسل تنتقل إلى البرزخ، ومن البرزخ إلى يوم القيامة، ومن يوم القيامة إلى المصير النهائي، إما إلى الجنة أو إلى النار.

عن علي بن أحمد، عن محمد بن أبي عبد الله، عن محمد بن إسماعيل البرمكي عن جعفر بن سليمان، عن أبي أيوب الخزاز، عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لا ي علة جعل الله عز وجل الأرواح في الأبدان بعد كونها في ملكوته الأعلى في ارفع محل؟ فقال عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى علم أن الأرواح في شرفها وعلوها متى ما تركت على حالها نزع أكثرها إلى دعوى الربوبية دونه عز وجل فجعلها بقدرته في الأبدان التي قدر لها في ابتداء التقدير نظراً لها ورحمة بها، وأحوج بعضها إلى بعض، وعلق بعضها على بعض، ورفع بعضها على بعض، ورفع بعضها فوق بعض درجات، وكفى بعضها ببعض، وبعث إليهم رسله، واتخذ عليهم حججه مبشرين ومنذرين، يأمرون بتعاطي العبودية والتواضع لمعبودهم

بالأنواع التي تعبدهم بها، ونصب لهم عقوبات في العاجل وعقوبات في الآجل. ومثوبات في العاجل ومثوبات في الآجل ليرغبهم بذلك في الخير ويزهدهم في الشر، وليذلهم بطلب المعاش والمكاسب، فيعلموا بذلك أنهم بها مربوبون وعباد مخلوقون، ويقبلوا على عبادته فيستحقوا بذلك نعيم الأبد وجنة الخلد، ويأمنوا من النزوع إلى ما ليس لهم بحق.

ثم قال عليه السلام: يا بن الفضل! إن الله تبارك وتعالى أحسن نظراً لعباده منهم لأنفسهم، ألا ترى أنهم لا ترى فيهم إلا محباً للعلو على غيره حتى أنه يكون منهم لمن قد نزع إلى دعوى الربوبية، ومنهم من نزع إلى دعوى النبوة بغير حقها. ومنهم من نزع إلى دعوى الإمامة بغير حقها، وذلك مع ما يرون في أنفسهم من النقص والعجز والضعف والمهانة والحاجة والفقر والآلام والمناوبة عليهم والموت الغالب لهم والقاهر لجميعهم ـ يا بن الفضل إن الله تبارك وتعالى لا يفعل بعباده إلا الأصلح لهم، ولا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون»[1].

والتأكيد على قراءة الأدعية المأثورة إنما هو من أجل أن تتحول روح الاستقلال، والشعور بالاستغناء والطغيان،

(١) بحار الأنوار ـ ج٥٨/ص١٣٣.

إلى روح العبودية والذلة والإحساس بالحاجة إلى الله سبحانه وتعالى، ولا شك أن العبودية والذلة لله سبحانه، تختلف عنها أمام الخلق، فالعبودية لله عِزٌّ، والذل أمام الله سبحانه وتعالى فخر، واستعطاء الله غنى، لذلك نقرأ في هذه المقطوعة من دعاء الافتتاح:

(**الحمد لله الذي يجيبني حين أناديه**)

فأنا ضعيف أمام الله، وأحتاج إليه في كل شؤوني، وحينما أناديه ألقاه مجيباً (**ويستر عليَّ كل عورة وأنا أعصيه**)، فكل إنسان لا يخلو من عورة وعيب، وافتضاح الناس أمام بعضهم البعض في الدنيا يعني عجز الإنسان عن التعامل مع الآخرين، ولذلك كان الإنسان بحاجة إلى أن يستر الله عيوبه في الدنيا والآخرة، إلا أننا أحوج إلى ستر الله في الآخرة منا إلى ستره في الدنيا. إذ إن افتضاح عيوب الإنسان وتعريته في الدنيا لا يتعدى الدائرة الاجتماعية الضيقة التي يعيش فيها الفرد، وهي عبارة عن عدد محدود من الأفراد بينما في يوم القيامة حيث يقف الواحد منا مع مئات المليارات من البشر، أمام الله سبحانه وتعالى، فإن افتضاح الإنسان وتعريته أمام هذا العدد الهائل من الناس لأمر صعب وشاق للغاية.

إذن، فنحن نحمد الله على أنه يستر عوراتنا، وحمد الله يجب أن يتجسد في الكف عن معصية الله: (**ويستر**

عليّ كل عورة وأنا أعصيه).

فستر الله تعالى على الإنسان يجب أن يتحول إلى رادع عن المعصية، وليس دافعاً، للتوغل في الذنوب، وإذا لم يكن للإنسان إيمان راسخ يمنعه عن المعصية، فلا بد أن يتمتع ـعلى الأقلـ بالحياء من الله الذي يستر العيوب، والعورات عن الخلائق.

(ويعظم النعمة عليّ فلا أجازيه)

فالله تعالى يبارك لنا في حياتنا، بل كل جزء من حياتنا هو نعمة عظيمة من الله، الزوجة والأولاد نعم من الله، والعزة والحرية والقدرة هي الأخرى نعم من الله، إلا إننا بإزاء كل نعم الله العظيمة لا نجازيه، بل نواصل العيش غافلين عن كل ذلك: (**ويعظم النعمة عليّ فلا أجازيه.. فكم من موهبة هنيئة قد أعطاني وعظيمة مخوفة قد كفاني**).

إن مواهب الله غالباً ما تكون واضحة يعرفها الإنسان ويلمسها في حياته، وأحياناً يشكر الله عليها، إلا أن لطف الله الخفي هو ما يدفعه الله عن الإنسان من عظائم الأمور والأخطار، فالإنسان معرض في أية لحظة لمئات الأخطار والمشاكل: للمرض، والفقر، والهزيمة، والموت. والله تعالى هو الذي يدفع كل ذلك عن الإنسان.

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ﴾[1].

فلكل إنسان عدد من الملائكة الذين وكلهم الله به، وهم بمثابة الحراس الذين يحفظونه من التعرض للأخطار، ولو عاد كل واحد منا إلى نفسه لتذكر عشرات الموارد التي كاد يتعرض فيها لأخطار جسيمة، إلا أن يداً غيبية كانت تنقذه، وتدفعه بعيداً عن ذلك.

يقول الطب الحديث إن السبب الظاهر لمرض السرطان هو وجود خلية فاسدة في أي منطقة من مناطق الجسم، تقوم هذه الخلية بتوليد المثل فتحول كل الخلايا المجاورة لها إلى خلايا فاسدة أيضا، وحينذاك تتسع الرقعة لتشمل مساحة كبيرة من الجسم يستحيل علاجها على الطب.

ويضيف الطب الحديث: إن هذه الخلية الفاسدة هي موجودة في كل جسم منذ الولادة، إلا أنها غير نشطة لأسباب غير معروفة طبياً، ويحدث أحياناً وفي بعض الأجسام ـ ولأسباب غير معروفة أيضا ـ أن تنشط وتتحرك هذه الخلية الفاسدة وتقوم بإفساد أكبر قدر ممكن من الخلايا المجاورة شيئاً فشيئاً.

---

(1) الرعد: ١١.

إذن، فكل واحد منا مهدد بالإصابة بهذا المرض الخطير، وكل لحظة من حياتنا يمكن أن تتحول إلى لحظة النهاية والموت بالسرطان، لكن الله سبحانه وتعالى يبعد كل هذه التهديدات وهذه المخاطر عنا، هل نحن نشكره؟ كلا..

(**فكم من موهبة هنيئة قد أعطاني، وعظيمة مخوفة قد كفاني، وبهجة مونقة قد أراني**)، إن كل ما في الحياة من جمال وروعة يعطيه الله لنا، وهو دليل آخر على ضعفنا وحاجتنا إلى رحمته وفضله، ولكن كيف؟

أحياناً حينما تكون في الصحراء قد ضقت ذرعاً بالظلام والبرد والوحشة فترى الصبح بتألقه وضيائه يقدم عليك فينفتح قلبك، وتنشرح نفسك، وتجدد آمالك، هذه هي البهجة المونقة، والروعة والجمال، وأحياناً تكون جالساً عصراً في جو حار وخانق ومزعج، وفجأة ترى السماء قد امتلأت سحاباً وأمطرت مطراً حسناً، والجو آخذ في البرد، فتنتعش وتغمرك بهجة مونقة.

إذن، فهناك لحظات البهجة والسرور يغمر الله الإنسان بها ليشعر أنه بحاجة إلى الله دائماً وأبداً.. (**وبهجة مونقة قد أراني، فأثني عليه حامداً، وأذكره مسبّحاً**..).

فمن جهة اثني على الله أي أذكره بالخير، وأحمده،

وفي نفس الوقت اجري ذكر الله على لساني وأسبحه وأنزهه عن أن يشبه المخلوقين: (**الحمد لله الذي لا يُهتك حجابه**)، هل استطاع أحد أن يصل إلى الله سبحانه وتعالى؟ كلا فحجابه لا يهتك، وهو مستور في سرادقات عرشه وبعزة مجده (**ولا يُغلَق بابه**)، أبواب الناس تغلق في الليل، حتى أكثر الحكومات عدالة تغلق مكاتبها في فترات معينة من اليوم إلا أن أبواب الله تبقى مفتوحة في أي وقت من الأوقات، يستطيع الإنسان أن يطرقها في أية لحظة يحتاج فيها إلى ربه: (**ولا يغلق بابه، ولا يرد سائله**) وحينما يطرق الإنسان باب ربه فإنه لابد أن يجد الإجابة الملائمة، فالله لا يرد من يسأله ويدعوه (**ولا يخيب آمله**)، لا يحتاج الإنسان أن يسأل ربه، بل يكفي أن تأمل ربك في قلبك، حتى تجد الله عند قلبك المنكسر، فالله يستحيل أن يخيب آمله، إلا أن الشرط هو أن لا نخادع أنفسنا، وأن يكون أملنا في الله وحده، لا نشرك به أحداً.

٧ـ الاعتماد على الله

(الحمدُ لله الذي يُؤمنُ الخائفين، ويُنَجِّي الصالحين، ويَرْفَعُ المُستضعفين، ويَضَعُ المُستَكْبرين، وَيُهْلكُ مُلُوكاً وَيَسْتَخْلفُ آخرين، والحمدُ لله قاصمِ الجَبارين، مُبِير الظالمِين، مُدرك الهاربِين، نكالِ الظالمِين، صَرِيخ المُسْتَصْرِخين، مَوْضعِ حاجات الطالِبين، مُعْتَمَد المؤمنِين، الحَمْدُ لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكانها، وترجف الأرض وعمارها، وتموج البِحارُ، وَمَنْ يَسْبَحُ في غَمَراتها. الحَمدُ لله الذي هَدَانا لِهذا وما كُنّا لنَهْتَدِيَ لولا أَنْ هَدانا الله، الحَمْدُ لله الذي يَخْلُقُ وَلَمْ يُخلَق، وَيَرْزُقُ ولا يُرْزَق..).

تعالج الأدعية المأثورة واقعاً نفسياً للإنسان ينعكس في تصرفاته الاجتماعية، وعندما نتأمل في فقرة من فقرات الدعاء لابد أن نتساءل: أي واقع تعالجه هذه الفقرة؟ واي انحراف تصححه؟ وأي ضعف يسعى الدعاء من أجل أن يجبره؟ وأي عجز يسعى من أجل أن يقيمه؟

وبتعبير آخر: ما هو الهدف المباشر وراء هذه الكلمة أو تلك من الدعاء؟

وحينما نتعمق في كل ذلك فإنه ينفعنا أولاً في معرفة نواحي الضعف في أنفسنا، وثانياً في معرفة كيفية معالجة هذه النواحي عبر الدعاء وعبر ما يثيره في أنفسنا من إحساسات، وما يعلمنا من دروس.

وفي حالة التأمل في كلمة من كلمات الدعاء، يجب أن لا نقتصر على فهم الدعاء فحسب، وإنما علينا أن نصل إلى تلك الطريقة التي اتبعها الدعاء من أجل معالجة هذه الناحية من النقص في أنفسنا، وإذا وصلنا إلى تلك

الطريقة فيمكن أن نستفيد منها ولو بصورة غير صورة الدعاء.

فمثلاً علينا أن نسأل: من أجل ماذا تسعى هذه الفقرة من الدعاء؟

الجواب: إنها تجبر ضعفاً موجوداً في واقع النفس البشرية، إنه ضعف الإنسان أمام الطبيعة وخوفه منها، ضعف الإنسان أمام المجتمع وخشيته منه، ضعف الإنسان أمام السلطات التي تمثل القوى الاجتماعية وخوفه منها، هذا الضعف لابد أن يجبر لكي يتكامل الإنسان، فالإنسان الخائف الذي يخشى الطبيعة، أو المجتمع، أو السلطة الفاسدة الحاكمة، لا يكون إنساناً متكاملاً ولا مستقلاً، بل أكاد أقول ولا إنساناً مؤمناً، لان المؤمن لا يكون جباناً، إن المؤمن الذي يترك دينه خوفاً من الناس وخوفاً من المجتمع وخوفاً من الطبيعة، ماذا ينفعه إيمانه؟ الإيمان هو سلاح الإنسان ضد الطبيعة، والحصن الذي يحافظ على استقلال المؤمن، فإذا كان هذا الحصن مخترقاً، فكيف ينفع الإنسان؟ ماذا ينفع الإيمان الذي لا يحصن استقلالك؟ انه يشبه الدواء الذي لا ينفعك في حالة المرض، وإنما يفيدك فقط حينما تكون متمتعاً بكامل صحتك.. فما هي فائدة هذا الدواء إذن؟

الإيمان هو حصن المؤمن وسلاحه، والإنسان

يستخدم سلاحه ضد عدوه، وضد كل ما يخاف منه، والإنسان بطبيعته وفطرته يخشى الطبيعة، ويخشى الظلام، والهوام والدواب، يخشى الظواهر الطبيعية كالرعد والبرق والرياح، ومن هنا نشأت عبادة البشر -عبر التاريخ- للظواهر الطبيعية، إذ إنهم كانوا يخشونها فيتحولون إلى عبادتها، ولذلك كان كل مجتمع يعبد الظاهرة الطبيعية التي يعايشها ويخاف منها، فمنهم من يعبد الرعد، والبرق، والسحاب، ومنهم من يعبد البحر إذا كان يعيش على سواحل البحار، وهناك من يعبد النهر لأنه يسكن على شاطئه، وهكذا نجد الأقباط السابقين في مصر كانوا يعبدون النيل لأنهم كانوا يعيشون على ضفافه وكانوا يطعمونه كل عام واحدة من أجمل فتياتهم.

ولهذا السبب كان جماعة من الناس يعبدون رؤساء العشائر رموز القوة الاجتماعية، وكانت الأصنام عادة رموزاً لقوى اجتماعية معينة.

كل ذلك لأن في طبيعة الإنسان تكمن حالة الانسحاب والتبعية، حالة الذل التي تجعله يعبد ما يخشاه ويخافه.

وهذه الفقرة من الدعاء تجبر هذا الضعف البشري، إذ تقول للإنسان بأنك قوي حتى لو لم تملك السلاح، والقوة المادية، إذ إنك تملك التوكل على الله والاعتماد

عليه، تملك سلاحاً أمضى من أي سلاح، وهو سلاح الدعاء، فعندما تدخل على حاكم فاسد جبار، اقرأ هذا الدعاء لكي تغمر قلبك قوة في المواجهة، وعندما تواجه انحرافاً اجتماعياً، فاقرأ هذا الدعاء حتى يمنحك القدرة على مقاومته وتصحيحه.

إذن، فان كل دعاء يعالج واقعاً نفسياً، وضعفاً قائماً في النفس البشرية، وعند التدبر في الدعاء يجب أن نحاول اكتشاف الأهداف المباشرة من وراء كل فقرة، وكلمة، على هذا الأساس نواصل التدبر في هذه الفقرة من دعاء الافتتاح:

(**الحمد لله الذي يؤمن الخائفين..**).

الخوف هو الوتر الحساس في حياة الإنسان، والذي تؤكد عليه هذه الفقرة من الدعاء في بدايتها، فالذي يخاف ويرتجف من السلطان الجائر، كيف يستطيع مقاومته، والذي يخاف الطبيعة ومظاهرها، كيف يمكنه تسخيرها والاستفادة منها.. إذن بأي حبل يستطيع هذا الخائف أن يعتصم حتى يطمئن قلبه، وتسكن نفسه؟ الجواب: بحبل الله الذي يؤمن الخائفين، والمؤمن هو من أسماء الله الحسنى (**وينجي الصالحين**)، إذا كانت أعمالك صالحة فلا تخشى أحداً أو شيئاً لأن الله تعالى سوف ينجيك وينقذك إذا واجهت آية مصاعب، (**ويرفع المستضعفين**)، وإذا

استضعفك الآخرون.. سلبوا قدراتك واستثمروك اقتصادياً وإعلامياً، وغلقوا في وجهك مسارب الحياة والتقدم فإن هناك رب العزة الذي يرفع المستضعفين ويأخذ بأيديهم إلى ساحل النجاة والحياة الحرة الكريمة، ولكن بشرط واحد هو أن تبقى في نفس المستضعف شعلة الأمل متوهجة، وان لا ينتهي إلى اليأس والقنوط والاستسلام للواقع الفاسد.

(**ويضع المستكبرين**)، لا يمكن أن يستمر الطغاة والمستكبرون في تسلطهم الظالم على الشعوب المستضعفة، إن هذا لا يتفق مع سنن الله في الحياة، فلابد أن يدحر الله كل المستكبرين والطواغيت، وأن يرفع في مكانهم الذين استُضعفوا ويجعلهم أئمة.

(**ويهلك ملوكاً ويستخلف آخرين**)، إن هؤلاء الملوك، والطغاة، والجبابرة الذين يمسكون بين أصابعهم مصائر الشعوب، ويتلاعبون بمقدرات الأمم المستضعفة، لا يشكلون قوة حقيقية في الحياة، فالله القاهر يهلك الملوك ويقضي على الطغاة ويستخلف مكانهم آخرين.

(**والحمد لله قاصم الجبارين**)، الذين يتجبرون في الأرض ويحسبون أنفسهم أنصاف آلهة ويزرعون الخوف والهلع في قلوب الجماهير ويعيثون في الأرض فساداً سوف يقصم الله ظهورهم (**قاصم الجبارين مبير الظالمين**)، أما

الظالمون الذين يظلمون الناس فان الله يهلكهم عن آخرهم ويبيدهم إبادة تامة، وما أكثر عبر الحياة في هذا المجال، فأين هؤلاء الذين كانوا يظلمون الناس في هذه البلاد (إيران)؟

لقد أبادهم الله، وشتت شملهم في آفاق الأرض، (**مُدرك الهاربين**)، وهل يستطيع الظالم أن يهرب؟ اجل، قد يهرب من أيدي المظلومين، إلا انه لا يستطيع الهرب من الله القاهر الجبار، فالله مدركه أينما يولي وجهه، فهو (**مدرك الهاربين نكال الظالمين**)، سوف يعذبهم عذاباً شديداً، (**صريخ المستصرخين**)، ذلك الذي يستصرخ ربه، ويدعوه إلى إغاثته، فان الله صريخه، أي يجيبه ويكون عند استغاثته. (**موضع حاجات الطالبين**)، الذين يطلبون من الله حاجاتهم مهما تكن كثيرة، فان الله موضع حاجاتهم يستجيب لهم، فان الآمال والطموحات الكبيرة لا تتحقق إلا بالله، (**معتمد المؤمنين**)، أما المؤمنون فإنهم يعتمدون على الله سبحانه وتعالى ويتوكلون عليه. هذا بالنسبة إلى الطغاة والقوى الاجتماعية، أما في مجال القوى الطبيعية، فيقول الدعاء:

(**الحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكانها**)، الإنسان يخشى السماء وما فيها من رعود وبروق، ويرجو رحمة الله من السماء أيضا، إلا أن الحقيقة هي غير ذلك، فالسماء لا تشكل خطراً يُخاف منه، إذ إن

السماء وسكانها ترتعد من خشية الله سبحانه وتعالى فلماذا نخشى الطبيعة إذن؟

(**الحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكانها، وترجف الأرض وعمارها**)، فالأرض والذين يعمرون الأرض ويحيونها يرتجفون خوفاً من الله وخشيته (**وتموج البحار ومن يسبح في غمراتها**)، هذه الحيوانات البحرية الهائلة، التي يزن بعضها (١٠٠) طن، ويصل طول بعضها ثلاثين متراً، كل هذه ترتعد فرقاً وخشية من رب العالمين..

إذن، يجب وأن لا يخشى الإنسان المؤمن الظواهر الطبيعية.. أن لا يخاف السماء والأرض والبحار، فكل هذه مخلوقات لله ومسخرات بأمره.

والآن، ما دمنا قد وصلنا إلى هذه المرحلة واكتشفنا بأن الملوك، والجبابرة والظالمين والمستكبرين لا يشكلون أية قوة بإزاء الله رب العالمين، وأنه سوف يبيدهم عن آخرهم، وأن السماء والأرض والبحار وكل ظواهر الطبيعة ليست عدوة الإنسان حتى يخاف منها ويخشاها، بل هي كلها ترتعد وترتجف أمام ملكوت الله، علينا إذن أن نحمد الله على هدايته إيانا إلى هذه الحقيقة الإيمانية.. لقد كنا سابقاً نخشى مخلوقات الله فنعبدها من دونه، ولكن الله هدانا إلى الصراط السوي.

(**الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا نهتدي لولا أن هدانا الله**)، فالله تعالى هو الذي يعِّرف نفسه بنفسه، ولولا هداية الله للإنسان لظلّ سادراً في غوايته، والإنسان هو المخلوق العاجز الضعيف الذي يحتاج الله في كل شيء، والله هو الغني القيوم، هو الذي يخلق الأشياء، ولا يخلقه شيء، ويرزق الإنسان ولا يحتاج إلى رزق احد، ويُطعم البشر ولا حاجة له إلى الطعام.. بيده الموت والحياة والنشور.. بل هو القادر على كل شيء ولا يعجزه أمر:

(**.. الحَمْدُ لله الذي يَخْلُقُ وَلَمْ يُخلَق، وَيَرْزُقُ ولا يُرْزَق، وَيُطعِمُ ولا يُطعَمْ، وَيُميتُ الأحياء، وَيُحيي المَوْتى، وَهو حَيٌّ لا يَمُوت، بِيَدِهِ الخير، وَهو عل كلِ شَيءٍ قّدير..**).

٨ـ معرفة الرسول

(.. اَللَّهُمَّ صَلِّ على محمد عبدك، ورَسولِك، وأَمينِك، وصفيِّك، وحَبيبك، وخيرَتك من خلقك، وحافظ سرِّك، وَمُبَلّغِ رِسالاتِكَ، أَفضَلا وأَحسَنَ وأَجَمل وأَكمل وأَزكى وأَنمى وأَطيبَ وأَطهَرَ وأَسْنَى وأَكَثْرَ ما صَلَيْتَ وباركْتَ وتَرحَّمْتَ وتَحَنَّنْتَ وسَلَّمْتَ على احد من عبادك وأنبيائك ورُسُلك وصفْوتكَ، وأَهلِ الكَرامةِ عليكَ مِنْ خَلقِكَ..).

كانت الفقرات السابقة من دعاء الافتتاح تركز ـفي الغالبـ على المفردة الأولى من مفردات الدعاء، وهي: ذكر الله سبحانه وتعالى، والتذلل له في مقام العبودية، أما الفقرات التالية فإنها تدعو إلى ترسيخ العقائد الإسلامية، ومن أبرز هذه العقائد ـبعد ذكر الله وبعد الإيمان به ومعرفتهـ معرفة الرسول ﷺ ومعرفة الأئمة الهداة من آل بيته عليهم السلام، وبالطبع لا تكفي هنا المعرفة الفوقية التي نسميها بالإسلام، بل لابد أن تتحول هذه المعرفة إلى معرفة راسخة في قلب الإنسان، تنعكس على أعماله وتصرفاته، وبالذات فيما يخص أولياء الله من الأنبياء والصديقين والصالحين، إذ يجب أن تتحول المعرفة إلى حب، وإلى نوع من الانسجام النفسي يجعل الإنسان يتبعهم دون صعوبة، يقول الدعاء:

(.. **اللهم صَلِّ على محمد عبدِك،ورَسولِك، وَأَمينك، وصفيِّك، وحَبيبك، وخيرَتك من خلقك، وحافِظِ سِرِّك، وَمُبَّلغِ رِسالاتِكَ، أَفضَلا وأَحسَن وأَجَمل**

وأَكَمل وأزكى وأَنمى وأَطيبَ واَطهَرَ وأَسْنَى وأَكَثْرَ ما صَلَيْتَ وباركْتَ وتَرحَّمْتَ وتَحَنَّنْتَ وسَلَّمْتَ على احد من عبادِك وأنبيائِك ورُسُلِك وصِفْوتكَ، وأَهلِ الكرامةِ عليكَ من خلقك..).

تحتوي هذه الفقرة على عدة مفردات أبرزها الصلاة على النبي ﷺ، ثم الصلاة من طرف خفي على الصديقين والأنبياء والصالحين والسابقين على النبي ﷺ، ومن ثم تحديد صفات النبي ﷺ. والآن لنتأمل في كل فقرة من الفقرات، وفي البدء نسأل: ماذا تعني الصلاة على النبي؟ ولماذا نحن معنيون بهذه الصلاة ولماذا نؤكدها ونقدمها بين يدي دعواتنا إلى الله سبحانه وتعالى؟

إن فلسفة الصلاة على النبي تتحدد من خلال النقاط الثلاث التالية:

النقطة الأولى: تحديد العلاقة بيننا وبين الرسول، وهي علاقة الحب والعطاء، لقد بذل الرسول ﷺ مجهوداً ضخماً لتبليغ الرسالة الإسلامية، وتحمل المسؤوليات الجسام في هذا السبيل، وقد هدانا الله بسببه، فما هو عطاؤنا للرسول؟

نحن لا نملك شيئاً نعطيه لرسول الله ﷺ، وهو الآخر لا يطلب منا أجراً، إن نهاية الاعتراف بالشكر للرسول ﷺ

تكمن في الصلاة عليه، في أن ندعو الله ليجزيه خير الجزاء.

إن شكرنا لخدمات رسول الله وجهوده ومساعيه ﷺ من أجل إنقاذنا وإنقاذ البشرية من ظلمات الجهل والجهالة والشرك، هو أن ندعو الله بأن يجزيه أجراً حسناً.

النقطة الثانية: تحديد العلاقة بين الله والرسول ﷺ وهي الأخرى علاقة العطاء، فليس رسول الله ابناً لله سبحانه وتعالى، ولا هو غني عن رب العالمين، بل العكس تماماً، انه عبد ومحتاج إلى الله، وهذه العلاقة هي العلاقة بين رسول الله وبين رب العالمين، لذلك فإننا نطلب من الله أن يعطي للرسول، وهذا لا يكون إلا بسبب حاجة الرسول إلى رحمة الله سبحانه وفضله وعطائه.

النقطة الثالثة: كما سبق وان قلنا إذا دعا الإنسان بلسان غيره فسوف يُستجاب دعاؤه، فدعاؤك لي مستجاب، ودعائي لك مستجاب أيضاً، وبما أننا قد أذنبنا، فإننا لا نملك وجوهاً كريمة أمام الله، وان ذنوباً تحول بيننا وبين الله، لذلك فإننا ندعو لرسول الله ونصلي عليه، وهو ﷺ يدعو لنا، ودعاء الرسول شفاعته:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1].

(1) النساء: ٦٤.

لو أن الرسول يدعو لنا ويشفع لنا فان دعاءه مستجاب، وهذا لا يعني أن دعاء الرسول أو استغفاره لقومه يحتم على الله شيئاً، ولكن يعني أن وجه الرسول كريم عند الله ونحن نقدم هذا الوجه بين يدي حاجاتنا ونتوسل إلى ربنا فيستجيب الله سبحانه.

أما المفردة الأخرى في هذه الفقرة من الدعاء، فهي بيان مواصفات الرسول ﷺ وأبرزها ما يلي:

(**عبدك ورسولك**) إننا نقول عادة: أشهد أن محمداً عبده ورسوله، وهذا يعني أننا نقدم صفة العبودية على صفة الرسالة، والسبب في ذلك هو أننا نريد أن ننفي عن أنفسنا غبار الشرك، لأن الإنسان حينما يعظم أحداً في نفسه، يقع فريسة لوساوس الشيطان التي تدعوه إلى إشراكه في عبادة الله، لذلك فإننا نؤكد على أن رسول الله ﷺ بالرغم من عظمته وشرف مقامه، إلا انه بالتالي عبد الله سبحانه وتعالى، وهذا أمر ضروري للغاية، لان كثيراً من الناس حينما يحبون أحداً، يدفعهم حبهم لكي يرفعون المحبوب إلى مستوى الألوهية وهذا خطير جداً، إذ إن رفع الأولياء أو الأنبياء والصالحين إلى مستوى الألوهية يضع حجاباً بين الإنسان وبين الاقتداء بسيرة صاحب الشأن.

(**ورسولك وأمينك**)، إنه حمل رسالة الله إلينا، وكان أميناً في رسالته لم يغير ولم يبدل، إن إيماننا بأمانة رسول الله

يجعلنا نعتقد بأن أي مخالفة صغيرة أو كبيرة لرسول الله تعني مخالفة لله سبحانه وتعالى:

﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[1].

(**وصفيك**)، إن الله تعالى اصطفى الرسول من بين خلقه، أي أنه لو كان في عصر الرسول من هو أكثر جدارة بحمل الرسالة لكان الله يجعل رسالته في ذلك الإنسان، إذن اختيار الله للرسول إنما كان بسبب انه كامل الشخصية، وليس عبثاً ومن دون حكمة.

(**وحبيبك**) والرسول هو حبيب الله، يحبه الله وهو يحب الله، ونحن نحب الرسول، وفي مهرجان الحب يشترك الجميع، فيرتفعون إلى مستوى التفاعل والانسجام.

(**وخيرتك من خلقك**) أي الذي اخترته من خلقك وهذا المعنى قريب من معنى (**صفيك**).

(**وحافظ سرك**)، فلله تعالى سر مستودع عند رسوله، وهذا السر ينتقل عبر أولياء الله، إذن، هنالك أشياء لم نعلمها، وهي مفهومة للقيادة المعصومة.

---

(1) الحشر: ٧.

إن عقولنا مهما سمت فهي لا تصل إلى مستوى عقول القيادة.

(**ومبلغ رسالاتك**)، تبليغ الرسالة ليس عملاً سهلاً لان تبليغ الرسالة يعني أن الإنسان يتجرد عن كل شيء:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1].

أما المفردة الثالثة وهي طبيعة الصلاة، فالدعاء يصف الصلاة على النبي بـ(**أفضل وأحسن وأجمل وأكمل وأزكى وأنمى وأطيب وأطهر وأسنى**...).

فماذا تعني هذه الكلمات؟

الجواب: إن الصلاة تعني رحمة الله سبحانه وتعالى لعباده، وهي ليست بشكل واحد ولا بدرجة واحدة، ولا تأتي في ظرف واحد، وان رحمة الله مختلفة درجات وأوقات وألواناً، ونحن نطلب لرسول الله أفضلها وأحسنها وأجملها، وأكملها وأزكاها.. والتعابير هذه تدل على نوع الرحمة التي تطلبها لرسول الله ﷺ.

---

(1) المائدة: ٧٦.

ثم إن الصلاة على النبي ﷺ لا تعني منع الصلاة على عباد الله الصالحين. إن رحمة الله واسعة تشمل الرسول وغير الرسول، لذلك يقول الدعاء: (.. **وأكثر ما صليت وباركت وترحمت وتحننت وسلمت على أحد من عبادك وأنبيائك ورسلك وصفوتك وأهل الكرامة عليك من خلقك**)، هذه الصلاة هي من طرف خفي، وبصورة غير مباشرة لأنبياء الله والصالحين من عباده وصفوته وأهل الكرامة عليه.

وهنا يجب أن نشير إلى أننا ـ بالرغم من صلاتنا على الرسول ـ إلا أننا مقصرون بإزائه، ذلك لأن المطلوب منا هو أن نعرف سيرته وآدابه، وأخلاقه الحسنة، ثم نقتدي به عملياً في حياتنا اليومية، إلا أننا نرى الأكثرية الساحقة من المسلمين لا يعرفون سيرة الرسول، ولا يقرؤون كتاباً واحداً حول الرسول طيلة حياتهم، فكيف يواجهون غداً رسول الله ﷺ ؟

إن من أبسط حقوق الرسول علينا هو أن نقرأ سيرته ونتعمق في حياته ثم نطبق كل ذلك في سلوكنا بشكل كامل.

٩ ـ معرفة الوصي

(.. اَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلى عَلِيٍّ أَميرِ الْمُؤْمنينِ، ووَصي رسولِ ربِ العالمين، عَبْدكَ وَوَليكَ، وأَخي رسولك، وَحُجَّتكَ على خلقِك، وآيَتِك الكُبرى، والنَبَأِ الْعظيمِ..).

بعد الصلاة على الرسول، ينتقل الدعاء للصلاة على وصيه وخليفته من بعده وهو الإمام علي بن أبي طالب..

إن في صلاتنا ودعائنا للإمام علي نفس الفوائد ونفس المفردات التي ذكرناها في الصلاة على النبي محمد ﷺ، ونحن أيضاً لا نستطيع أن نقدم للإمام علي عليه السلام الذي غيَر مسار التاريخ والذي أعطانا نموذجاً للحكومة الإسلامية، والذي لم يدعْ طاقة ولا قوة يمتلكها إلا بذلها في سبيل الله، نحن لا نملك أن نقدم له شكراً أو أجراً وإنما فقط نستطيع أن نصلي عليه وندعو الله لكي يؤتيه أجره، ويرضيه عنا بما شاء سبحانه وتعالى (**اللهم وصل على علي أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين عبدك ووليك وأخي رسولك**)، كما في الرسول كذلك في الإمام، يجب أن لا يدفعنا تعظيمنا له وحبنا إياه، إلى تأليهه، والغلو فيه، فهو عبد الله وولي من أوليائه الصالحين، وأخو

رسول الله، وحجة الله على خلقه:

(**وحجتك على خلقك وآيتك الكبرى**).

في هذه الفقرات تستوقفنا كلمة (**وآيتك الكبرى**)، فكيف يكون الإمام علي عليه الصلاة والسلام الآية الكبرى لرب العالمين؟

قبل أن نجيب عن هذا السؤال لابد أن نشير إلى حقيقة أن كل شيء في الكون هو آية لله سبحانه وتعالى:

وفي كـــل شــــيء لــــه آية تـدلّ علـى أنـه واحـد

وتتفاضل آيات الله سبحانه وتعالى، ليس بالنسبة إلى الله، لان الله عز وجل يخلق الكون من دون أن يتعب أو يمسه لغوب، إنما إذا أراد شيئاً يقول له: (كن) فيكون، وخلقه لملايين المجرات لا يختلف عن خلقه للبعوضة الصغيرة، وإنما تختلف الآيات بالتفاضل فيما بينها، وبما أعطاها الله سبحانه وتعالى من قدرات. ومن آيات الله التي نعرفها وهي قريبة منا الملائكة الذين يعتبرون من أعظم آيات الله سبحانه وتعالى، لأن ملائكة الله هم الموكلون بالكون، فيهم حملة عرش الله وملائكة السماء وملائكة الأرض والبحار، والرياح، والجبال، وكل هذه تستجيب لأمر الله عبر ملائكته الموكلين بها، وإذا عدنا إلى سورة البقرة نجد أن الله سبحانه وتعالى أمر جميع ملائكته

بالسجود لآدم أبي البشر!

لماذا؟ لأن آدم هو خليفة الله، وهو مستودع روح الله سبحانه:

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1].

ذلك الروح الذي يقول عنه ربنا في آية أخرى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[2].

ويقول سبحانه وتعالى عنه أيضاً:

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۞ تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[3].

إن هذا الروح الذي نفخ الله منه في آدم هو من أهم خلق الله، يؤيد به الله عباده المكرمين، لذلك أمر الله كل ملائكته فيما بينهم حملة عرشه، والكروبيين، وملائكة

---

(1) الحجر: ٢٩.

(2) الإسراء: ٨٥.

(3) القدر: ٣ ـ ٥.

السموات والأرض، وملائكة المجرات المختلفة كلها، أن يسجدوا لآدم.. لماذا؟ لأن آدم فيه الروح! إذن، فان آدم الذي استوعب الروح ونفخ الله فيه من روحه أصبح أفضل كل الخلق.

وإذا كان أفضل الخلق، فهو آية كبرى بالنسبة إلى الآيات الأخرى! فالسماء والأرض والجبال والمجرات كلها آيات الله، ولكن آدم آية كبرى، لأن السماء والأرض والجبال والبحار والأنهار وكل المخلوقات الأخرى مستجيبة للملائكة، والملائكة بدورها سجدت لآدم عليه الصلاة والسلام، وإذا عرفنا بأن خاتم النبيين سيدنا ونبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، هو أشرف وأعظم من كل الأنبياء، بل إنه مكمل رسالاتهم، لأنه خاتمهم. لو عرفنا ذلك فلابد أن نعرف أن وصي خاتم النبيين، والذي هو صنوه ونفسه، حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى في آية المباهلة:

﴿**وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ**﴾[1].

وقد ورد في أكثر تفاسير المسلمين، أن المراد (بأنفسنا)، هنا هو الإمام علي عليه الصلاة والسلام، فلابد أن نعرف بان علياً هو أفضل من آدم.

---

(1) آل عمران: ٦١.

إذن إذا كانت السماوات مستجيبة للملائكة، والملائكة ساجدة لآدم، وعلي أفضل من آدم عليه الصلاة والسلام، فما هي الآية الكبرى لرب العالمين؟ هل السماوات؟ أم الملائكة؟ أم ذلك الذي تسجد الملائكة له ولأمثاله، أم انه علي بن أبي طالب، خليفة رسول الله خاتم الأنبياء؟

وهنا لابد أن نطرح هذا السؤال: لماذا يفضل الله بني آدم على الملائكة، بل على المخلوقات كلها؟

الجواب: لأن الله حمّل علمه لبني آدم، وحمّل بني آدم شيئاً قد يكون أهم من العلم وهو الحرية والإرادة، وجعل المشيئة في قلب بني آدم!

أما الملائكة فقد جعل الله لهم الروح وأعطاهم الإيمان، والعلم والفضيلة إلا أنه لم يعطهم الشهوات! فالملائكة يعبدون الله دون أن يأخذهم الأرق والنوم والتعب، وعبادتهم لله هي من سجيتهم، أما الحيوانات فالأمر بالنسبة لها أوضح، لان الله لم يعطها العقل ولا العلم ولا الإرادة بل هي كتلة من الغرائز والشهوات، فالحيوانات ليست مفضلة على بني آدم، أما الإنسان، فقد أعطاه الله العلم والعقل والإرادة، ثم ركب عليه الشهوات، فإذا اتبع هذا الإنسان عقله وعبد الله سبحانه وتعالى، واختار بحريته الكاملة هذا الطريق، كان قريباً إلى

الله ومكرماً عنده، لأنه كان مخيراً بين أن يهبط وبين أن يرتفع، ولكنه اختار الارتفاع بفعله! فعظمة الإنسان تنبع من أنه هو الذي يريد، هو الذي يقرر، أما الملائكة فهي لا تقرر، باعتبارها هي مخلوقة في هذا الاتجاه، تريد ولكن ليس بصعوبة، وعلي بن أبي طالب يجسد القمة في هذا الارتفاع والسمو بعد رسول الله ﷺ.

إن علياً يحمل جسمه المبارك في غزوة (أُحد) سبعين جراحاً تحتاج إلى العلاج ولكنه، وقبل أن يستريح من عناء القتال والجروح، يأتيه منادي رسول الله ﷺ يدعوه إلى الحرب من جديد فيتحمل كل ذلك الأذى والجراح ويتوجه من جديد إلى ساحة الحرب. كان بإمكانه أن يأكل مصفى العسل ولباب القمح، وأن يلبس أفضل الملابس وهو أمير المؤمنين والله لم يحرم عليه ذلك ولكنه لم يفعل. كان يقسم الأموال بين الناس بالسوية وكان بإمكانه أن لا يفعل ذلك.

كان بإمكانه أن ينام الليل ولكنه في الليلة الواحدة كان يصلي ألف ركعة.

كان علي يُغشى عليه في الليل من كثرة الصلاة وعبادة الله، وفي النهار تراه على باب اليتامى والمساكين، وكان لا يترك عبادة إلا وأتى بها.

يذكر لنا التاريخ أنّ الإمامَ علياً كان يأتي إلى المسجد قبيل الفجر فيصلي بالناس الصبح ثم يعقب إلى أن تطلع الشمس وتنتشر، ثم ينتقل من محرابه إلى مكان آخر من المسجد يقضي بين الناس، ويحل مشاكلهم، ثم كان يتركهم ويتحرك في أسواق الكوفة، ينادي في الناس: اتقوا الله، التاجر فاسق حتى يتفقه، عليكم بالفقه ثم التجارة، ثم يتمشى في أزقة الكوفة لعله يجد ذا حاجة لم يجد إلى المسجد سبيلاً، لعله يجد فقيراً، أو مسكيناً فيساعده، أو لعله يجد فساداً فيصلحه. وبعد صلاة الظهرين يأتي إلى بيته ويسأل زوجته: هل عندكم شيء أم أفوت؟ فإذا وجد شيئاً تغدى به، وإن لم يكن هناك شيء يقضي ذلك النهار جائعاً، وعندما يصير الليل يصلي صلاة المغرب والعشاء جماعة بالناس ثم يعود إلى العبادة إلى الصباح، فمتى تكون الراحة ومتى يكون النوم؟

والآن، ألا يُعتبَر هذا الإنسان المثالي آية كبرى من آيات الله؟ إنَ علياً هو تلميذ تربى في حجر الرسول ﷺ وهو يقول: إنني عبد من عبيد محمد، إذن فكل حياة علي هي دليل صادق على حقانية الرسالة الإسلامية، ولذلك كان (النبأ العظيم).

ثم كما كان علي آية كبرى في الجهاد، والصبر، والعبادة، والزهد، كذلك هي الزهراء فاطمة بنت محمد،

التي تلقت أصول الرسالة في بيت أبيها الرسول.

إنها آية كعلي، ولكن بلون آخر وبصورة أخرى، تزهر الزهراء صلوات الله عليها لأهل السماء كما تزهر النجوم لأهل الأرض، كانت تقف في محراب عبادتها وكان النور يشع من محرابها إلى عنان السماء، كانت تتعبد وتصلي لربها من أول الليل حتى الصباح، وكانت تدعو للجيران والمؤمنين والمؤمنات ولشيعتها وللرساليين عبر التاريخ ثم المجاهدين، ثم في الصباح يقول لها ابنها الحسن: أُمَّاه دعوت لكل الناس ولكن أين نصيبنا نحن.

فتقول: يا بني اعلم (الجار ثم الدار)، فاطمة الزهراء هي كفء علي، إلا أنها امرأة وعلي عليه الصلاة والسلام رجل!

١٠ ـ حجج الله على العباد

(..وَصلِّ عَلى الصَّدِّيقَة الطَّاهِرَة فَاطمَةَ سَيِّدَة نسَاءَ العَالَمِينَ وَصَلِّ عَلى سبْطَي الرَّحْمَةَ وإمَامَي الْهُدَى الْحَسَنِ والْحُسَيْنِ سَيِّدَي شَبَاب أَهْلِ الْجَنَّة وَصَلِّ عَلى أئمَّة الْمُسْلمينَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّد وَمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ وَعَلِيِّ بْنِ مُوسَى وَمُحَمَّد بْنِ عَلِيٍّ وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّد والْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَالْخَلَف الْهَادِي الْمَهْدِي حُجَجك عَلى عبَادكَ وأُمَنَائِكَ فِي بِلادِكَ صَلاةً كَثِيرةً دَائِمَةً...).

من هو الحجة؟ ولماذا؟

إن معرفة الإنسان بالله وبالرسالة والرسول وبالتالي معرفته بيوم البعث والنشور وكل أصول العقيدة الإسلامية، ليست بدرجة واحدة، وإنما هي ذات درجات متفاوتة، تبدو على سلوك الإنسان وعلى أخلاقياته وعلى مدى استقامته أمام الضغوط التي يتعرض لها، ولا يكفي في المعارف الإلهية -أو بتعبير شائع في العقائد الإسلامية- مجرد الاقتناع الأولي بان لهذا الكون إلهاً، كما لا يكفي مجرد الاقتناع بوجود الأنبياء ووجود نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وهكذا الأئمة عليهم السلام بل لا بد أن تتحول القناعة إلى معرفة والمعرفة إلى يقين. والأدعية كفيلة -إذا تدبرنا فيها- بأن تحول معارفنا الإلهية إلى يقين منا بها، حتى تنعكس هذه المعارف عملياً في سلوكياتنا وفي شخصياتنا وفي مدى استقامتنا.

ولقد غفل أبناء الأمة وبالذات علماؤها وقياداتها عن هذا الدور الهام للأدعية المأثورة، لذلك فإن الدعاء لم

يلق ذلك الاهتمام الدراسي المطلوب.

وهذه الفقرة من دعاء الافتتاح تذكرنا بدور الأئمة عليهم السلام وذلك عبر الصلاة عليهم وعلى جدهم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إذ إنّ هذا التركيز على الأئمة من خلال الصلاة عليهم إنما يعمق الصلة بين أبناء الأمة وبين قادتهم وأئمتهم.

ونجد في هذه الفقرة أن الأئمة يوصفون بـ(**حججك على عبادك، وأمنائك في بلادك**)، فما هي الحجة؟ ولماذا اختار الله سبحانه وتعالى للأمة المرحومة أربعة عشر حجة؟ لماذا لم يكتفِ ربنا الحكيم بسيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وإنما اختار لنا بعد الرسول، الإمام علي ابن أبي طالب عليه الصلاة والسلام حجة، وفاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام حجة، وإحدى عشر إماماً من نسلها حججاً من قبله على عباده، لماذا؟

الجواب: تعني (الحجة) أن هذا الإنسان يكون (حجة) بينك وبين الله، إذا اتبعته وأطعته وجعلته مقتداك وهاديك، فان الله سبحانه وتعالى يستقبل منك. لا يسألك أكثر من ذلك في يوم القيامة، فإذا اتبعت علي بن أبي طالب واقتديت بسيرته كاملة دون تحريف، فسوف تكون عند الله من الفائزين، لأن علي بن أبي طالب هو نسخة تطبيقية من القرآن الحكيم من دون زيادة ولا نقيصة، هو

القرآن الناطق وصنو القرآن، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**».

وقال:

«**علي مع القرآن، والقرآن مع علي**».

إذن فاتباع علي عليه السلام والاقتداء بسيرته هو اتباع واقتداء بالقرآن الحكيم، فإذا كان علي هو الصورة المجسدة لقيم الرسالة الإلهية، إلى هذه الدرجة فانه يكون (حجة).

أما السؤال الثاني فهو لماذا إذن نحن نحتاج إلى أربعة عشر حجة؟

إنما نحتاج إلى هؤلاء الحجج وبالذات الأئمة عليهم الصلاة والسلام لأن الزمان يختلف، وقد تكون هذه هي حكمة تعدد الأئمة عليهم الصلاة والسلام، فليست الظروف دائماً متشابهة، فقد يكون الإسلام حاكماً في ظرف من الظروف، وقد يكون الكفر هو الحاكم في ظرف آخر، وقد يكون النفاق هو الحاكم في ظرف ثالث.

والإنسان المسلم قد يكون في ظرف من الظروف سجيناً، وقد يكون شهيداً، وقد يكون حاكماً، وقد يكون عالماً، فصفات الإنسان وصفات المجتمع والظروف الاجتماعية

وتطورات المجتمع مختلفة ومتفاوتة، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية: جعل الله سبحانه وتعالى هذا الدين آخر الأديان، ورسولنا محمداً ﷺ خاتم النبيين، ولا يأتي بعد رسولنا نبي، ولا بعد كتابنا كتاب، وقد يطول عمر البشرية لملايين السنين، فإننا لا نعرف متى تقوم الساعة:

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ..﴾[1].

إذن، فإن البشرية تحتاج إلى حجج وأئمة في مختلف الظروف والحالات، سواء كأفراد أو كمجتمعات، فمثلاً: نحن بحاجة إلى إمام يعلمنا كيف ينبغي أن يحكم الإنسان، يعلمنا ذلك بسيرته لا بكلامه، حتى تكون سيرته لنا حجة نقتدي بها، إننا نحتاج إلى صورة متكاملة للحاكم الإسلامي المثالي، فمن أين نجد هذه الصورة؟

ـ نجدها في علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام، فبالرغم من أن النبي ﷺ أيضاً كان حاكماً، إلا أنه لم تبرز معالم الحكومة في وقته بقدر ما تجلت رسالته.

أما علي بن أبي طالب فقد كان ـولو لفترة قصيرةـ حاكماً بكل معنى الكلمة.

---

(1) الأعراف: ١٨٧.

فكيف كانت سيرة علي - الحاكم؟

لنلق الضوء على نقطة واحدة من هذه السيرة ثم نقارنها بوضع حكام المسلمين اليوم:

كان الإمام علي خليفة رسول الله، وحاكماً على كل الأمة الإسلامية، وفي ذات الوقت كان قائداً للقوات المسلحة، وكان يعيش حالة حرب مع معاوية الذي كان قد تمرد على الإمام الشرعي، في هذه الظروف التي كانت الأخطار فيه تحدق بالإمام، وكان خطر الاغتيال قائماً، باعتبار أن هناك متمردين في صفوف جيشه، ولم تكن حادثة اغتيال الإمام علي أول حادثة اغتيال في الإسلام، ولا أول حادثة اغتيال لحاكم، بالرغم من كل ذلك، فإن الإمام علياً يخرج من بيته وحده إلى المسجد لأداء صلاة الفجر، وأول ما يفعله في المسجد هو الأذان، فمن هو الحاكم الإسلامي اليوم، الذي يتصرف بهذه الطريقة؟

إن علياً حاكم إلهي، والحاكم الإلهي هو داعٍ إلى الله سبحانه وتعالى، والأذان دعوة إلى الله، لذلك ترى علياً يقف في مسجد الكوفة ويؤذن أذان الصبح ويوقظ المسلمين للصلاة.

أما في الليل فيخرج الإمام إلى أطراف الكوفة يفتش عن المكروبين والمستضعفين وأصحاب المآسي، لكي يحل لهم مشاكلهم، وأما حياته الشخصية، فإنه يذهب إلى

السوق ويشتري ما يحتاج إليه، ويحمل متاعه بنفسه إلى بيته، وحينما يعترضه أحد المؤمنين ويحاول أن يحمل عنه المتاع، يرد عليه الإمام بأنه هو الذي يحمل أثقاله يوم القيامة ولا احد غيره.

هذه هي سمات الحاكم الإسلامي يجسدها الإمام علي عليه السلام ويتحول بذلك إلى (حجة) علينا، إذ انه لا يخاف في الله لومة لائم.

يذكر التاريخ أن شخصاً من القيادات العسكرية في جيش الإمام أُدين بشرب الخمر، فجاء به إلى مسجد الكوفة، ثم أقام عليه الحد (ثمانين جلدة) وبعد أن تمت العملية، قام الرجل ونظر إلى الإمام وقال يا أمير المؤمنين، صحبتك ذل ولكن مفارقتك كفر. فأجابه الإمام: هذا هو العز. إذن فالإمام علي هو مثال حي للحاكم الإسلامي. ونحن نحتاج إلى مثالٍ يقتدى به السجين المسلم، فنجده في الإمام موسى بن جعفر عليه الصلاة والسلام، فالكثير منا قد يتعرض لسجون الطغاة. وقد يتأفف في البداية على دخوله السجن، إذ انه سيخسر عمره، ولا يكون قادراً على الإنتاج والعطاء، إلا أنه حينما يقتدي بالإمام موسى بن جعفر الذي قضى ردحاً طويلاً في سجون الطغاة، يجد أن الإمام يشكر الله على أنه وفر له فرصة لعبادته وهكذا يستغل فترات السجن في عبادة الله وصقل شخصيته

الإيمانية عبر هذا الطريق.

ونحن نحتاج إلى من يقدم دمه في سبيل الله، فنقتدي في ذلك بالإمام الحسين عليه الصلاة والسلام. ونحتاج إلى فقيه يربي العلماء والمفكرين ويوجه الأمة إلى تفاصيل الشريعة الإسلامية، فنقتدي بالإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام، ونحتاج إلى من يمثل دور الحكمة في العلاقة مع الدولة فنقتدي بالإمام علي بن موسى الرضا عليه الصلاة والسلام، وهكذا نجد أننا نحتاج في ظروف حياتنا المختلفة إلى أئمة نقتدي بسيرتهم وهداهم. ولأن الظروف مختلفة، والأشخاص مختلفون، فإننا نحتاج إلى أئمة لمختلف الظروف، ولا شك أن الأئمة ليسوا لنا فقط، بل هم لكل الأجيال القادمة، فالإسلام سوف ينتشر ويعم الأرض كلها، وسوف تواجه الأمة قضايا جديدة ودقيقة، وسوف تطرح على الساحة مشاكل حضارية وعميقة، حينئذٍ يتجلى بعض دور الأئمة عليهم الصلاة والسلام.

إذن فالأئمة هم حجج الله على العباد، أي أنهم قدوات يجب أن تهتدي الأمة بهداهم، وأن تقتفي مسيرتهم حسب اختلاف الظروف والأزمنة.

وهنا يجب أن نشير إلى أن العنصر النسوي الذي يشكل نصف المجتمع البشري، هو بحاجة إلى حجة يقتدي بسيرتها في مختلف الظروف، فبالرغم من أن المرأة تقتدي

بسيرة الأئمة عليهم الصلاة والسلام، في الظروف والقضايا المشتركة بين الرجال والنساء، إلا أنها تحتاج إلى قدوة نسائية للظروف والقضايا الخاصة بالمرأة، لذلك فقد جعل الله تعالى للأمة الإسلامية حجة نسائية متمثلة في شخصية فاطمة الزهراء (عليها أفضل الصلاة والسلام).

من هنا يتضح دور (الحجة) في حياة الأمة، والسر في تعدد (حجج الله على عباده) وهم الرسول الأعظم، وابنته الزهراء، والأئمة الاثنا عشر (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، لذلك نجد أن هذه الفقرة من الدعاء تأتي بعد الصلاة على النبي، لتذكر المسلمين بالحجج والقدوات عبر الصلاة عليهم.

(.. وَصَلِّ عَلى الصدِّيقة الطاهِرَة، فاطمةَ الزهراء، سَيدة نساء العالمين. وَصَلِّ على سِبْطَي الرحمة، وإمامَي الهُدَى: اَلْحَسَنِ وَاْلحُسَيْنِ، سَيِّدَي شباب أَهلِ اْلجَنَّة. وَصَلِّ على أَئمة المسلمين: عَلِّي بْنِ اَلحُسَيْنَ، ومُحَّمد بْنِ علِّي، وَجَعْفرِ بْنِ مُحَمَّد، وَمُوسَى بْنِ جَعْفرٍ، وَعَلِّي بْنِ مُوسى، وَمُحمَّد بْنِ عَلِّي، وَعَلِّي بْنِ مُحَمِّد، وَاْلحَسَنِ بْنِ عَلِّيٍ، وَاَلخَلَف اْلهادي اْلمهْدِيَ، حُجَجِكَ على عِبادِك، وأمنائِك في بِلادك.. صلاة كثيرةٌ دائمةً..).

١١ ـ دور الإمام المنتظر

(اَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلى وَلِيّ أمرِكَ القائِم المُؤَمَل، والعَدل المُنتظَر، وحُفَّهُ بملائكَتك المُقَربين، وأَيّدهُ بِرُوح القدُسِ يا رَبَ الْعالمينَ.

اَللَّهُمَّ اجْعَلْهُ الداعِيَ إلى كتابِك، والقائِم بدينك، اسْتَخْلفهُ في الأرض كما استَخْلَفْتَ الَذينَ من قَبله، مَكِّن له دينه الذي ارتضَيْتَه له، أَبْدلهً من بَعدِ خوفه أَمناً، يَعْبُدُكَ لا يُشْرِكُ بكَ شيئاً.

اللهم اَعِزَّه واَعْزِز به، وانصُرْهُ وانتَصِر به، وانْصرهُ نَصْراً عَزِيزاً، وافْتَح له فتحاً يسيراً، واجعل له من لَدُنْكَ سُلطاناً نصيراً..).

ما هو دور الإمام الحجة؟

أن يكون للإنسان قائد إلهي يرتبط به قلبياً ونفسياً وعقلياً وخطياً، إن ذلك يعتبر وسيلة لتكامل الإنسان كفرد أو كمجتمع، وتوجهه المستمر نحو النموذج السماوي المرسوم والمعين له، وهذا بعض من فلسفة إيماننا نحن بالإمام المهدي (صلوات الله عليه) الذي نؤمن به إماماً شاهداً علينا وقريباً منا، ومطلعاً ورقيباً على أعمالنا، ويتجلى هذا الإيمان في ليلة القدر حيث تتنزل الملائكة والروح بمقادير العباد.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۞ تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[1].

---

(1) القدر: ١ ـ ٥.

في هذه الليلة المباركة تنزل الملائكة بتقديرات حكيمة: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[1].

إن كل التطورات التي يجب أن تحدث خلال العام الواحد تُقدر من قبل الله تعالى في ليلة القدر، فصحة الإنسان ومرضه وفقره وغناه، وكرامته بين الناس أو ذلته، وكذلك تقدم الأمة وتخلفها، حضارتها أو جاهليتها.. كل هذه المقادير ترسم وتحدد في ليلة القدر:

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾[2].

ولكن السؤال هو: على مَن تتنزل الملائكة بمقادير الحياة والعباد؟

في الجواب نقول: إن من تكريم الله لبني آدم هو أن جعل لهم من أنفسهم حججاً لله على الخلق تتنزل عليهم الملائكة، ففي كل عصور التاريخ ومنذ آدم حتى هذا اليوم فان الملائكة تنزل في ليلة القدر على (بشر)، ففي عهد آدم كانت تنزل على آدم، ثم بعده على شيث، وبعده على إدريس، وبعده على إبراهيم، وموسى، وعيسى، والنبي

(1) الدخان: ٤.
(2) الدخان: ٤ ـ ٥.

محمد عليه الصلاة والسلام، ثم بعد الرسول على أوصيائه الأئمة المعصومين الواحد بعد الآخر، أما الآن فإنها تتنزل على الإمام المهدي المنتظر، لأنه حجة الله على عباده، والدعاء حينما يصلي على الإمام الحجة، إنما لكي يعمق العلاقة بين المؤمنين وبين حجة الله:

(**اللهم وصلِّ على ولي أمرِك القائم**[1] **المؤمل، والعدلِ المُنتظر، وحُفَّة بملائكتِك المُقرَبين، وأَيِدهُ بِرُوح القُدُسِ يا رب العالمين**).

وروح القدس هنا قد يعني تلك الروح التي تتنزل في ليلة القدر، وهو الذي أيَّدَ الله به عباده المؤمنين، والأنبياء والأوصياء وهو الذي قال عنه ربنا سبحانه وتعالى:

﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾[2].

يقول الدعاء: (**ولي أمرك القائم المؤمل..**)، فالإمام

---

(١) جرت العادة عندنا أن نقف منتصبين حينما يُذكر اسم (القائم) فماذا تعني؟

إن هذا القيام يرمز إلى استعدادنا للمعركة التي لا بد أن يخوضها الحق ضد الباطل تحت قيادة الإمام الحجة، وهو يعني أيضاً أننا نتمنى أن نكون من جنود الإمام ومن المجاهدين تحت لوائه.

(2) الإسراء: ٨٥.

الحجة يقوم بالأمر.. ﴿**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۞ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا**﴾، ولكن ماذا يعني (الأمر) هنا؟

إن لله تعالى قضاء وقدراً وله أمراً وسنةً، وسنن الله تعالى هي القوانين التي وضعها للكون، ثابتة لا تتغير، ولكن أمر الله فوق قوانين الكون، والإمام الحجة هو مكلف من قبل الله وبإذن الله وبتفويض من الله، وبقدرة الله وباسم الله، أن يكون له الأمر[1].

الأهداف الحقيقية للإنسان:

لكل إنسان في هذه الدنيا أهداف يبذل من أجل تحقيقها مساعيه الجادة، وهدف الإنسان ـ سواء كان شريفاً

---

(١) أشرنا في بداية الحديث إلى أن ارتباطنا بالإمام هو ارتباط خطي، أي أننا يجب أن نرتبط بخط الإمام المستقيم، فماذا يعني؟ نحن لا نعتبر الفقيه الذي هو ولي الأمر، لا نعتبره قائداً بالذات، إنما نعتبر قيادته منبعثة من نيابته العامة للإمام الحجة عليه السلام) إذن فنحن في كل قضية نبحث عن رأي الإمام الحجة وعن موقفه، بل حتى الفقيه الولي هو الآخر يبحث عن رأي الإمام الصائب لكي يبني فتواه ومواقفه على ذلك الأساس لأنه يعتمد شرعية قيادته من مدى التزامه بخط الإمام الحجة، ولذلك فإننا نظل ملتزمين بقيادة الفقيه الولي ما دام هو يلتزم السير على الصراط المستقيم، أما إذا انحرف ـ لا سمح الله ـ فإن ارتباطنا ينقطع فوراً، إذ إن ارتباطنا الحقيقي هو بخط الإمام الحجة، وبقدر ما يمثل الفقيه هذا الخط ويجسده فإننا نلتزم به، وإلا فلا.

أم وضيعاً، سليماً أم سقيماً ـ هو الذي يحدد مسار حياته ومساعيه التي يبذلها، فمن كان هدفه الوصول إلى نقطة معينة، فان كل حركته وكل جهده سوف ينصب باتجاه تلك النقطة.

أما إذا كان هدفه هو الوصول إلى نقطة تقابل تلك النقطة في الاتجاه، فان الحركات والتوجهات والجهود هي الأخرى سوف تتوجه إلى تلك النقطة، وليس سواءً: التحرك شمالاً أو جنوباً، شرقاً أو غرباً، كذلك هدف الإنسان هو الذي يحدد مسار حياته. ولكن مشكلة الإنسان أنه لا يعرف بالضبط ما هو الهدف السليم الذي ينبغي السعي إليه، أو بتعبير أفضل، إن مشكلة الإنسان، أنه ليس هو الذي يحدد هدفه في الحياة! إنما الآخرون هم الذين يملون عليه أهدافاً ليست من أهدافه الحقيقية، وانه بعد فترة ليست بالقصيرة يكتشف زيف تلك الأهداف، وأن كل مساعيه وحركاته إنما كانت باتجاه نقطة خاطئة، وبذلك فهو لم يخدم نفسه إنما خدم الآخرين أو خدم الشيطان:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1].

---

(1) الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤.

إن الذين ينقادون لأبواق الإعلام الغربية أو الشرقية، ويتبعون ما تقوله أجهزة الدعاية الحكومية لهم، سوف يكتشفون أن هذه الأجهزة لم تكن أمينة معهم، إذ جعلتهم في وضع استهدفوا غايات لم تكن في مصلحتهم، مثلاً إن الكثير من الذين غرّر بهم صدام وساقهم إلى جبهات القتال، ضد الإسلام يكتشفون بعد الموت أو قبله، بأن العملية كانت خدعة كبرى تعرضوا لها! وأنهم تحركوا وبذلوا جهودهم ودماءهم ولكن ليس في سبيل خيرهم وما ينفعهم، وإنما في سبيل أهواء حاكم طاغية.

إذن، فالمشكلة الأولى للإنسان هي أن أهدافه لا تكون ـفي الغالبـ أهدافاً حقيقية، أما المشكلة الأخرى فهي أن أهداف الإنسان قد لا تكون منسجمة مع فطرته، وطاقاته.

فالكثير منا يلخص كل حياته في قوالب ضيقة، وأهداف محدودة جداً، لأنه لا يعرف نفسه ولا يعرف حجم ما أودعه الله فيه من طاقات. لقد خلقه الله لكي يصبح سيد الطبيعة وسيد الكون وملكاً في الجنة تخدمه الملائكة! ولكن النظرة الضيقة إلى الذات، تجعل الإنسان ينتخب لنفسه هدفاً ضيقاً يسعى بكل ما يملك من مساعي في سبيل الوصول إليه، وهذا هو الآخر يخسر نفسه. ومن الناس من تكون أهدافه وتطلعاته عالية، إلا أنها تكون

شخصية، فكل هدفه ـ مثلاً ـ أن يُصبح ثرياً! ويمتلك الأموال والعقارات، أو يكسب شهرة واسعة، أو أن يصبح سلطاناً، ثم ماذا؟ ماذا بالنسبة للآخرين؟ لا شيء! وحينما يكون هدف الإنسان شخصياً فان هذا الهدف سوف يتعارض ويصطدم بأهداف الآخرين وبالتالي يؤدي إلى نشوب صراع اجتماعي يكون البقاء فيه للأقوى.

والأدعية المأثورة تحاول ـ من خلال معانيها الحميدة ـ تصحيح هدف الإنسان ومسيرته في الحياة، وذلك عبر ترسيخ القناعات التالية في الإنسان:

أولاً: إن عليك أن تحدد لنفسك هدفك.

ثانياً: أن تكون أنت الذي ترسم هذا الهدف لنفسك وليس الآخرون هم الذين يملونه عليك.

ثالثاً: إن هذا الهدف يجب أن يكون هدفاً عالياً وليس دانياً.

رابعاً: أن يكون هدفاً مشتركاً بينك وبين الآخرين ولا يكون هدفاً ذاتياً، فبدل أن ترهق نفسك لكي تصبح سلطاناً، الأفضل أن تعمل أنت والمجموعة التي تعرفها، أنت والمجتمع الذي تعيش فيه، تعملون معاً من أجل سلطان عادل، فحينما يكون هناك سلطان عادل، فإن خيره سوف يكون عميماً، وبدل أن تسعى من أجل اكتساب الثروة

التي قد تأتي عن طريق تخلف الأمة وانتشار الفقر، وترسيخ تبعية الأمة للأجنبي، بدل ذلك اسعوا جميعاً في بناء حضارة ينعم الجميع بخيراتها، اعملوا من أجل أن تكون بلادكم بلاداً متقدمة صناعية لكي يستفيد الكل منها، وبدل أن تعمل من أجل أن تعيش أنت وحدك في حياة مرفهة، حاول أن تنشر الأخلاق الفاضلة في المجتمع، فإذا انتشرت الأخلاق الفاضلة فإن الجميع سوف يعيشون حالة جيدة، في اطمئنان وسكينة.

إذن، فإن من أهداف الدعاء هو تصحيح مسار الإنسان وأهدافه العظمى، وحينما يرسم الإنسان لنفسه تلك الأهداف العظمى فانه ينسجم مع الآخرين، أولاً، ثم انه يبذل قصارى جهده من اجل تحقيق تلك الأهداف.

فحينما يكون هدف الإنسان هدفاً ذاتياً، كأن يصبح ثرياً، فإنه سوف يتكاسل ويتقاعس عن العمل لأنه لا يشعر بشخصيته الحقيقية.

أما حينما يكون الهدف إقامة حكم الله في الأرض، فان الإنسان يبذل كل جهوده من اجل تحقيق الهدف، ومهما طال المسير فانه يزداد عزماً وإصراراً، لذلك فهو يفجر كل طاقاته، فيكون بذلك الإنسان المتكامل، الإنسان اللامنتهي، الإنسان اللامحدود، لأنه يعرف بأنه حتى لو بلغ الثمانين من العمر فإن أمامه أهدافاً لا بد أن يحققها،

فيكون نشيطاً على الدوام، حتى لو كان شيخاً كبيراً، إذ إنه يملك طاقة نفسية هائلة، لذلك نرى رجلاً كسليمان بن صرد الخزاعي (رضوان الله عليه) يقود معركة فدائية وقد جاوز عمره التسعين سنة دون أن يرهقه الشيب! والسبب لأنه يمتلك شعلة الهدف العالي في ضميره، فتدفعه نحو تفجير طاقاته، وفي نهاية دعاء الافتتاح، نقرأ ما يرسم لنا أهدافنا الحقيقية في الحياة وتطلعاتنا، ويتمحور الدعاء حول مولانا وإمامنا الحجة بن الحسن المهدي عجل الله تعالى فرجه وجعلنا من أنصاره وأعوانه:

(**اللهم اجعله الداعي إلى كتابك والقائمَ بدينك، استَخْلفهُ في الأرض كما اسْتَخْلَفت الذين من قبله، مَكن لَه دينه الذي ارتضَيْتَه له، أَبْدِلهُ مِن بَعدِ خوفِه أَمناً، يَعْبُدُك لا يُشرِك بكَ شيئاً**).

وهنا يجب أن نشير إلى عدة ملاحظات:

أولاً: إذا دعوت أنت وأنا وكل المؤمنين فان الله سبحانه وتعالى قد يجيب دعواتنا، فنحن لنا اثر بقدر معين في مسيرة هذا الكون وفي مستقبله.

فباستطاعة الواحد منا أن يعمل من أجل قرب فرج الإمام الحجة عليه السلام، وذلك عبر الدعاء بروح الأمل، وليس بروح اليأس والقنوط.

ثانياً: الدعاء يتضمن في نفس الوقت نوعاً من التطلع، أي أن على الإنسان أن يجعل في برامج حياته: العمل المستمر من اجل الوصول إلى هذا الهدف، من اجل تهيئة الوسائل وتمهيد الطرق لظهور الإمام الحجة بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه. فالدعاء في الحقيقة هو تعبير عن برنامج تطلعات المؤمن وأهدافه.

ثالثاً: حينما يدعو الإنسان لإمامه المنتظر، فانه بذلك يؤدي جزءاً من حقه عليه.

كما يؤدي ذلك إلى ترسيخ علاقة الاقتداء والتبعية بالإمام.

(**اللهم اجعله الداعي إلى كتابك والقائمَ بدينك، استَخْلفهُ في الأرض كما اسْتَخْلَفت الذين من قبله، مَكن لَه دينه الذي ارتضَيْتَه له**).

هذا الدين هو دين الإسلام ولكنه الإسلام الكامل، الإسلام غير المشوه وغير المزيف، والذي يعمل الإمام الحجة على نشره في أرجاء الأرض، وتمكينه من قلوب البشرية.

(**أَبْدِلهُ مِن بَعدِ خوفهِ أَمناً، يَعْبُدُك لا يُشرِك بكَ شيئاً**).

فالإمام الحجة هو في حالة خوف ووجل على مصير

هذا الدين.

وهو يترقب لمئات السنين لحظة الظهور التي يأذن بها الله تعالى، فهو يعيش حالة التشرد والهجرة الدائمة بانتظار اللحظة الموعودة، وكذلك الإنسان المؤمن يجب ان يتحمل الصعاب والمشاكل ريثما يحقق أهدافه وتطلعاته.

(**اللهم أعزه وأعزز به، وانصره وانتصر به، وانصره نصراً عزيزاً، وافتح له فتحاً يسيراً، واجعل له من لدنك سلطاناً نصيراً**).

إننا نقرأ في القرآن:

﴿**وقلْ ربي أَدخلني مُدَخَل صدْق، وأَخرْجني مخْرجَ صِدْق، واجْعَل لي مِن لَدُنك سلطاناً نصيراً**﴾[1].

فنحن نطلب من الله أن يجعل لنا سلطاناً ويجعل لنا قوة، ولكن ليس قوة ذاتية، وإنما قوة إلهية، بعيدة عن الشهوات والأهواء وتراكمات السلبيات في المجتمع، وهكذا نطلب من الله في هذا الدعاء أن يجعل للإمام الحجة سلطاناً نصيراً.

(**اللهم أظهر به دينك، وسنة نبيك، حتى لا يستخفي بشيء من الحق، مخافة أحد من الخلق**).

---

(1) الإسراء: ٨٠.

إننا نتجرع الآلام حينما نرى أن سنن رسول الله قد محيت، وأن معالم الرسالة قد درست، وأن أحكام الله تخالَفُ جهراً في كل البلاد الإسلامية، وفي كثير من الأوقات نضطر إلى السكوت تقية، إلا أننا هنا نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُظهر الإمام الحجة حتى لا تكون هناك تقية، لكي يكون الإسلام هو السائد.

ثم يبدأ الدعاء برسم خريطة الأهداف الحقيقية للإنسان في الحياة، فالهدف ليس هو امتلاك العقار، والزوجة والأولاد، والتمتع بهذه الأمور، إنما الهدف الأساسي هو أن يكون للإنسان دور فعال وبناء في تصحيح مسيرة الحياة:

(اللهم إنّا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله، وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة).

إذن، **فالهدف الأول** هو: إقامة حكومة إسلامية حقيقية، وليس حكومة إسلامية منافقة تطبق إسلاماً مزيفاً ينسجم مع مشتهيات الغرب أو الشرق.

والهدف الثاني: هو أن يكون للإنسان في هذه الحكومة الدور الطليعي، فلا ننتظر أن يأتي غيرنا لبناء

الدولة الإسلامية. إنما نحن الذين نبني، نحن الدين نقوم بهذا الدور الطليعي: (**وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك**)، يكون لنا دور طليعي قولاً وعملاً، فالدعوة إلى طاعة الله، هي الدور الطليعي قولاً، أما القيادة إلى سبيله، فيعني الدور الطليعي عملياً وميدانياً.

(**وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة**)، هذا هو هدف الدولة الإسلامية، والكرامة تعني الاستقلال والخير والفضيلة، فالهدف الأسمى للدولة الإسلامية ليس الوصول إلى تقدم مادي حتى ولو كان هذا التقدم على حساب الاستقلال، أو على حساب الفضيلة، أو على حساب الإحسان إلى الناس. ولنضرب مثلاً بالأمريكيين الذين تقدموا حضارياً، ولكن على حساب الشعوب، على حساب الفضيلة، و (إسرائيل) أيضاً متقدمة حضارياً، ولكن على حساب استقلالها؛ باعتبارها دويلة ذيلية مرتبطة بالغرب، بلغاريا أيضاً متقدمة ولكن على حساب استقلالها لأنها تابعة للشرق، أما الدولة الإسلامية فإنها تنشد التقدم ولكن إلى جانب الاستقلال، تريد الاستقلال والى جانبه الفضيلة.

(اللهم ما عرفتنا من الحق فحملناه، وما قصرنا عنه فبلغناه)

ولكن كيف نصل إلى الهدف المقدس؟

عبر وسيلتين:

الوسيلة الأولى: (**ما عرفتنا من الحق فحملناه**)، نتحمل مسؤولية مقدار ما نعرفه من الحقائق، فإذا كنت اعرف أن الجهاد واجب، فعليّ أن أتحمل مسؤوليته.

الوسيلة الثانية: (**وما قصرنا عنه فبلغناه**)، فإذا كنت اشعر بنقص في معلوماتي وثقافتي الدينية، كان عليّ أن أسعى لكي أسد هذا النقص، فبمقدار ما يعرف الإنسان من دينه عليه أن يطبق، والمقدار الذي لا يعرفه، عليه أن يبحث عنه حتى يعرفه.

(اَللَّهُمَّ اَلُمُمْ به شَعثنا، وأَشعَبْ به صَدْعَنا، وارْتُق به فَتْقَنا، وكَثِّر به قِلّتَنا، واَعززْ به ذِلَّتَنا، واَغنِ به عائلَنا، واَقْضِ به عن مُغرَمنا، واجْبُر به فَقْرَنا، وَسُدَ به خلَتَنا، وَيَسِّر به عُسْرِنا، وَبِّيض به وُجُوهنا، وفُكَ به أَسْرَنا، واَنجح به طَلبَتَنا، وأَنجز به مَواعيدَنا، واسْتَجب به دَعْوَتَنا، واَعْطنا به سُؤلَنا، وَبَلغْنا به من الدنيا والآخرة آمالنا، واَعْطنا به فوقَ رَغْبَتنا، يا خيرَ المسؤولين، وأَوْسَعَ المُعْطين، اشْف به صُدُورنا، واَذْهب به غَيْضَ قلوبنا، وَاْهدنا به لما اْختُلفَ فيه من الحقِ بإذنك انكَ تَهْدِي من تشاء إلى صراط مستقيم..).

الدولة الإسلامية الحقة هي التي تقوم على أسس إلهية، وابرز هذه الأسس هو تمحور الدولة حول قيادة ربانية، ولذلك فهي تعطي للمجتمع الإنساني النتائج التي ذكرت في نهاية دعاء الافتتاح، وهذه النتائج هي في ذات الوقت تطلعات ينبغي على كل مؤمن أن يسعى من اجل تحقيقها بكل ما يملك من إمكانات.

إن الأدعية المأثورة تنعكس في ضمير الإنسان الذي يدعو بها في صورة تطلعات وبرامج عملية يندفع لتحقيقها في الواقع الخارجي، فحينما ترفع يدك ـفي شهر رمضانـ ضارعاً إلى الله، وتقول: (**اللهم أَدْخِل على أهلِ القُبورِ السُرور، اللهم اَغنِ كُلَ فاسدٍ من أُمورِ المسلمين، اللهم غيِّر سوء حالِنا بِحُسن حالك..**) حينما تدعو الله سبحانه وتعالى بهذه الدعوات، فإن ذلك لا يعني فقط انك تحرك لسانك بهذه العبارات، أو تتمنى تحقيق هذه الأمور، وإنما يعني أيضاً أن تجعل هذا برنامج حياتك، فتسعى من اجل

أن تُدخِلَ السرور إلى قبور الموتى وذلك بمزيد من الطاعة التي نبعث بثوابها إليهم، وبمزيد من الانسجام والتعاون فيما إذا كان الشهيد أو الراحل رجلاً يتطلع إلى الانسجام كما لو كان قائداً وإماماً.

وحينما تقول: (**اللهم أَشْبع كلّ جائع**) فانك تسعى من أجل سد جوع الناس الجائعين، وكذلك حينما تقول: (**اللهم أَصلح كلَ فاسد من أمور المسلمين**) فأنك يجب أن تسعى بإصلاح بين الناس بصورة منتظمة، إذن فإن الأدعية كما هي من العبد المسكين، من المخلوق الضعيف إلى الخالق القوي لكي يستجيب له ويحقق ذلك بصورة غيبية، فهو أيضاً برنامج عملي يجب أن يطبقه الإنسان ويسعى من اجل تحقيقه.

ثم من جهة أخرى قد تعيش بعض المجتمعات البشرية في أوحال التخلف والظلم والاستضعاف إلى درجة تفقد معها حتى مجرد الطموح والأمل، ومجرد الأمنية والحلم في أن تصل إلى مستوى متقدم من العيش والحياة.

مثلاً: المجتمعات التي تعيش في بعض بلاد آسيا النائية، أو في بعض مناطق إفريقيا، أو مناطق أميركا اللاتينية، هذه المجتمعات المستضعفة لا تفكر في أن تمتلك في يوم من الأيام قنبلة نووية أو أن تحصل استقلالاً كاملاً في مواجهة الشرق والغرب، فمن اجل إعادة الإنسان إلى

إنسانيته، وتذكيره بأنك أيها الإنسان تستطيع أن تبني حياة رفيعة، وأن تغيرها، لا بد أن تتحدى الظروف التي جعلتك تعيش هذه الحياة المذلة سواءً كشخص تصارع الطبيعة، أو كمجتمع تصارع سائر المجتمعات من اجل الحصول على حياة حرة.. من أجل تذكير الإنسان بهذه الحقيقة نحن بحاجة إلى الأدعية التي تقول لنا: إذا أصبحت حياتكم صعبة، وظروفكم معقدة، وأوضاعكم شاذة وإذا أدبرت الدنيا عنكم، فلا يعني ذلك أنكم فعلاً أصبحتم لا تستحقون التقدم، ولا تستحقون الكرامة، ولا يعني أن ترضوا بهذه الحالة، بالعكس، عليكم دائماً أن تسألوا الله أن يمنحكم حياةً أفضل، وهذا السؤال والدعاء يجعلكم تؤمنون بأن حالةً أفضل من هذا الواقع ممكنة، وتسعون من اجل الوصول إليها، وهكذا لا تنطفئ فيكم جذوة الأمل، ولا تموت في أنفسكم روح التقدم، ونحن نقرأ الفقرة الأخيرة من دعاء الافتتاح ضمن هذا الإطار ونقول: (**اللهم ألمم به شعَثَنا**) والشعَث يعني: التناثر والتشرذم والتشتت الذي يمزق المجتمع بعضه عن البعض الآخر، اللهم ألمم به هذا التشرذم والتشتت حتى تصبح امتنا وحدة واحدة.

(**وأشعب به صدعنا**) فحصون بلادنا مهدمة، فيها ثغرات يتسلل منها العدو، ولا تسد هذه الثغرات إلا بالتضرع إلى الله سبحانه وتعالى بالسؤال (**وأشعب به**

صدعنا) هذا الصدع في جدار بلادنا وامتنا لا نستطيع أن نسده إلا بعون الله ونصره، وبنظرة واحدة إلى العالم الإسلامي نهتدي إلى عمق التشتت الموجود في كل مكان، فكل جماعة تتمزق إلى قوميات وإقليميات ووطنيات مزيفة، حتى أن كل قرية تعيش بنفسها دون ارتباط جذري ببقية أجزاء الأمة. هذا هو التشتت، أما الصدع فهو أقوى من التشتت، أي أنه اظهر للعين، فـ(إسرائيل) صدع، وروسيا في أفغانستان صدع، وماركوس في الفلبين صدع.

(**وارتق به فتقنا)** الفتق هو أقل من الصدع إلا أنه بدوره شيء يُرى، ونستطيع أن نعتبر وجود الأنظمة العميلة في البلاد الإسلامية نوعاً من الفتق الذي يجب أن تتحرك الأمة لرتقه بعون الله تعالى.

(**وكثّر به قلتنا)** نحن قد نكون كثيرين مشتتين فنحتاج إلى الوحدة، وقد نكون قليلين نحتاج إلى زيادة عددية، إن القلة ـبحد ذاتهاـ لا تُعتبر نقطة سلبية لو كانت مجتمعة القلوب ومتآلفة النفوس، إلا أن هذه القلة المتآلفة يجب أن تزداد وتتضاعف حتى تشمل كل فئات الأمة الإسلامية، لذلك فإننا ندعو الله بقولنا: (**وكثر به قلتنا**).

(**وأعزز به ذلتنا)** إنّ مشكلة الإنسان الذليل هي أنه شيئاً فشيئاً يشعر وكأنه خُلِق ذليلاً فلا يقاوم الظلم، والعدوان، والإذلال، إن الاستكبار العالمي يسعى اليوم في

شتى بقاع الأرض لإذلال المسلمين واستعبادهم، لذلك فإنه يستخدم المواد الكيمياوية لإبادة المسلمين على جبهة الحرب العدوانية العراقية ضد الإسلام، كما يستخدم الروس أبشع الأساليب لتقتيل عشرات الألوف من المسلمين في أفغانستان، و (إسرائيل) تهتك حرمات المسلمين في جنوب لبنان، والنظام العراقي يمارس أشنع الوسائل لتحطيم معنويات الشعب المسلم في العراق، أليست كل هذه الممارسات العدوانية بحق المسلمين هي أساليب جهنمية لإذلال المسلمين؟ وإذا لم نقاوم كل هذه الممارسات، وإذا لم نتحول إلى امة مجاهدة لكسب العزة والكرامة، فان الذلة ستتغرس في نفوسنا: (**واعزز به ذلتنا**).

(**وأَغنِ به عائلنا**) تُعتبر البلاد الإسلامية من بين البلاد الأكثر تخلفاً في العالم!! وقد قرأت مرة تقريراً كان يصف (بنغلادش) بأنها من أكثر البلاد تخلفاً في العالم، ومن الذي يعيش في هذا البلد غير الملايين من المسلمين؟ وهكذا الأمر بالنسبة لكثير من البلاد الإسلامية وبالذات الأفريقية منها والتي تعيش شعوبها حياة المسكنة والتخلف المريع. إننا يجب أن نعرف أن الله لم يخلقنا حتى نعيش بهذا الشكل من الفقر والتخلف، وان هناك أساليب ووسائل يجب أن نبحث عنها ونتبعها حتى نقضي على حياة المسكنة والتخلف: (**وأَغن به عائلنا، واقضِ به عن مغرمنا، واجبر به فقرنا**) هناك فرق بين المسكنة التي يعبر

عنها هذا الدعاء بكلمة (عائلنا) وبين الفقر، والمسكنة تعني أن لا يملك الإنسان حتى قوت يومه، بينما الفقر يعني أن حياة الفرد غير متوازنة مع حياة سائر الناس، فالفقير قد يملك بيتاً وأثاثاً جيداً، إلا انه يُعتبر فقيراً لأنه لا يمتلك سيارة إذا كان يعيش في مجتمع كل أفراده يمتلكون السيارات الخاصة، إن بلادنا بشكل عام تُعتبر من البلاد الفقيرة. وحينما يريدون تضليلنا يطلقون علينا اسم (البلاد النامية) بينما في الحقيقة بلادنا لا تنمو كما يجب، فمعدلات النمو في بلادنا اقل من المعدل الذي ينبغي أن يكون عليه. إن نمو السكان هو أكبر من نمو الاقتصاد، إذن فان بلادنا ليست نامية، والدليل هو وجود الفجوة الواسعة بين الجنوب والشمال، ويجب أن نعترف بأننا فقراء حتى نسعى للقضاء على الفقر: (**واجبر به فقرنا. وسُدّ به خَلّتنا**) أي مواضع الفقر (**ويَسِّر به عسرنا**) يجب على الإنسان أيضاً أن يسعى وبعون الله إلى تيسير ما تعسّر من حياته، وهذا الدعاء يدفع الإنسان لكي يرفض الاستسلام إلى واقعه الصعب وحياته العسيرة بل عليه أن يسعى للتغيير نحو الأفضل: (**وبيض به وجوهنا**).

(**وفُكَ به أَسرنا، وأَنجح به طلبتنا**) حقق تطلعاتنا عبر وليك الغائب الذي تبعثه لإنقاذنا (**وأنجز به مواعيدنا**) لقد وعدنا الله بان ينصرنا على الأعداء، ونحن بحاجة إلى القيادة التي نلتف حولها لينقذنا الله بها، وينجز وعده بنصرنا

(**واستجب به دعوتنا واعطنا به سؤلنا وبلغنا به في الدنيا والآخرة آمالنا**) إن كل آمالنا ستتحقق، ولا يجوز أن ييأس الإنسان ويقنط من ذلك، وإنما تحقق الآمال يحتاج إلى الوسيط وهو الحجة الغائب ومن ينوب عنه.

(**وأَعطنا به فوق رغبتنا**) إننا نطلب من الله سبحانه وتعالى أن لا يقتصر فقط على الاستجابة لطلباتنا، ذلك لان عقل الإنسان محدود، وطلباته أيضا تكون محدودة، فندعو الله الذي يعرف عمق حاجاتنا أن يعطينا أكثر مما نطلب وفوق رغبتنا: (**وأعطنا به فوق رغبتنا، يا خير المسؤولين**) من أفضل من الله، يسأله الإنسان حاجاته؟ إذ يستطيع الإنسان أن يسأله أي شيء، وفي أي وقت شاء، فلا تحجبه عن عباده المؤمنين حواجب، وبابه مفتوح للداخلين، والتقرب إليه والسؤال منه لا يحتاج إلى شفيع ولا دليل ولا تصنع، وهو فوق كل ذلك يعطي السائل أضعاف ما يطلب. فهو: (**خير المسؤولين، وأوسع المعطين، واشفِ به صدورنا**) هذه هي قمة الطلبات، إذ قد تكون هنالك دولة إسلامية ومجتمع مسلم، دولة تحكمها قوانين إسلامية، ومجتمع يخضع في علاقاته الظاهرية لقيم الإسلام، وقد تكون هناك حالة من الحركة والغنى والتقدم والرفاه والعزة، ولكن يظل القلب مريضاً، فلا يستفيد الإنسان من كل تلك النعم، لان القلب لا يتمتع بالعافية، والصفاء، والاطمئنان، تماماً كالإنسان الحسود الذي وان امتلك كل ما في الدنيا من نعم،

إلا انه لا يرتاح له بال لأنه يحسد الآخرين على ما يمتلكون من نعم الله.

إذن، فإننا نحتاج إلى شيء أعظم من كل النعم، ألا وهو: شفاء الصدور والقلوب.

(**وأذهب به غيظ قلوبنا**) وشفاء الصدور لا يعني فقط أن يجعلك الله صابراً وقانعاً وراضياً ولا يعني فقط أن يصبح قلبك صافياً من الحسد والحقد. بل وأيضاً أن يخلو قلبك من كل غيض، فإذا كنت تحمل في قلبك عقدة سقوط الاستكبار، وأعداء الدين والإنسان مثلاً: فانك تطلب من الله أن يذهب هذا الغيظ من قلبك وذلك بإسقاط أعداء الإنسانية ودحر الحكومات الشيطانية والقوى المستكبرة في العالم.

(**واهدنا به لما اختلف فيه من الحق بإذنك**) من فوائد الحكومة الإسلامية والقيادة الرسالية أنها تحسم الخلافات القائمة على أساس الهداية إلى الحق والصواب: (**واهدنا به لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم وانصرنا به على عدوك وعدونا إله الحق آمين**) بالتالي فإن تكن هناك دولة إسلامية وحكومة إسلامية فإنه تبقى هناك مجموعات من الأعداء، نأمل في الانتصار عليها، ونطلب من الله أن يعيننا في ذلك.

وفي نهاية دعاء الافتتاح نشكو إلى الله من المستكبرين:

أصحاب القوة، وأصحاب السلطان الذين يظلمون ويقهرون المستضعفين الذين يعيشون حياة التخلف والتمزق، فنقول: (**اللهم إنّا نشكو إليك فقد نبينا صلواتك عليه وآله، وغيبة ولينا، وكثرة عدونا، وقلة عددنا، وشدة الفتن بنا**) نشكو إلى الله من الفتن الكثيرة التي تهجم على الأمة من كل صوب، أليست (إسرائيل) والأنظمة الطاغوتية ومن ورائهما قوى الاستكبار العالمي هي فتن هذه الأمة؟

(**وتظاهر الزمان علينا**) فروسيا تغزو امتنا من جهة، وأميركا تتآمر من جهة أخرى، وفرنسا من جهة ثالثة وبريطانيا من جهة رابعة، وهكذا تتحالف كل قوى الشر ضدنا.

(**وتظاهر الزمان علينا فصلِّ على محمد وآله واعنَنا على ذلك بفتح منك تعجله، وبضر تكشفه، ونصر تعزه، وسلطان حق تظهره، ورحمة منك تجللناها، وعافية منك تلبسناها، برحمتك يا أرحم الراحمين**)[1].

(١) بعد أن انتهى التأمل في دعاء الافتتاح الذي كان واحداً من الادعية الجامعة، نبدأ التأمل في الدعاء الصغير الذي يُقرَأ عادة بعد دعاء الافتتاح ذلك لأن دعاء الافتتاح لم يركز بما فيه الكفاية على مسألة الايمان بالآخرة.

١٣ ـ الإيمان بالآخرة

(اللهم برَحَمتك في الصالحين فَأَدْخلنا، وفي عليين فَارْفَعنا، وبكَأس من مَعين من عَيْنٍ سَلْسَبيل فَاسْقنا، ومنَ الحُور العيْن برَحمتك فَزَوِّجنا، ومنَ الوِلدانِ المُخَلَّدين كَأنهم لؤلؤ مكنَون فَأخْدمنا، ومن ثمارِ الجَنَّة، ولُحوم الطَيْرِ فَأَطْعمْنا، ومن ثياب السُنْدُسِ وَالحَرير والإسْتَبْرَق فأَلبسْنا، وَليلةَ القدْرِ، وَحجَّ بَيْتكَ الحرام، وَقَتْلاً في سَبيلكَ فوَفق لنا، وصالحَ الدُعاء وَالمَسْألة فَاسْتَجبْ لنا، وإذا جَمعْتَ الأولين والآخرين يَوْمَ القيامَة فارحمنا، وبَراءةً من النار فَاكْتُبْ لَنا، وفي جهَنَّمَ فَلا تَغُلنَّا، وفي عذابكَ وَهَوانك فلا تَبْتَلنا..).

إن الإيمان بيوم البعث هو جزء أساسي من العقائد الإسلامية التي تؤكد الأدعية -في بعض جوانبها- على ترسيخها في النفس، وتجدر الإشارة إلى أن هنالك فرقاً بين ترسيخ العقيدة وبين شرحها وبيانها، فشرح العقيدة، قد يكون عبر حديث عقلائي، بينما ترسيخ العقيدة لا يكون إلا عبر معاناة نفسية وتفاعل نفسي بين الإنسان وبين تلك العقيدة، مثلاً هناك فرق واضح بين أن تؤمن بالآخرة إيماناً مبنياً على البراهين والأدلة العقلية، وبين أن تؤمن بها عبر تصور مشاهد الآخرة. فتتصور مشهدك وأنت محمول على أكتاف الأصدقاء إلى مثواك الأخير، لا تعرف ما هو مصيرك، وتتصور نفسك وأنت مفترش على المغتسل تقلبك أيدي الصالحين من إخوانك أو جيرانك، وتتصور تلاشي جسمك في القبر، ثم خروجك من قبرك عرياناً ذليلاً لا تعرف إلى أين تتجه، تقف خمسين ألف عاماً في صحراء المحشر، تلك الصحراء المحفوفة بالمخاطر والأهوال وهكذا تتصور النار والجنة، وتتصور العقاب والنعيم.

إن كل هذه التصورات هي التي ترسخ العقيدة في ذهنك وليس مجرد الاعتقاد استدلالي البرهاني، إن الإيمان بالآخرة يجب أن يترسخ في النفس إلى درجة يجعل الإنسان هذا الإيمان جزءً من تفكيره وتوجهاته.

يقول احد علماء الغرب واسمه (براتراتسن) في كتابه المسمى (في التربية):

«إن رجال الكهنوت يربون أولادهم على الإيمان بالآخرة والعمل من أجلها.

ثم يضيف الكاتب:

أنا شخصياً لا أؤمن بالآخرة، لكن الذي يؤمن بالآخرة يؤمن بأنه سيعيش هناك طويلاً، خالداً، أما في النار والعذاب وأما في الجنة والنعيم، لا بد أن يربى ابنه على هذا الأساس، لان الدنيا بالنسبة إلى ذلك اليوم لا شيء، فما هي قيمة سبعين سنة إذا قيست بملايين السنين؟ هي لحظة واحدة فقط، إذن الذي يؤمن بالآخرة لا يمكنه أن يعيش كما يعيش الذي لا يؤمن بها، فهناك اختلاف واسع بين حياتهما.

جاء في بعض الأحاديث: «**عجبت لَمن أيقنَ بالموت كيف يضحك؟**».

إن تصور الموت وحده، وتصور هذه النهاية التي لا

عودة منها، يكفي لكي يجعلك لا تضحك أبداً في حياتك، فكيف بتصور ما وراء الموت، والموت هو من ابسط مراحل يوم القيامة، إن الموت الذي يخافه الإنسان في دنياه، يتمناه أهل النار يوم القيامة، لأنه أسهل بكثير من أهوال العذاب والنار، تقول الآية الكريمة:

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾[1].

وفي المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير هذه الآية قال: إن أهل النار ولضعفهم لم يتلفظوا القول بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا ليقضِ علينا ربك يعني: سلْ ربك أن يقضي علينا، أن يميتنا، قال: إنكم ماكثون لا خلاص لكم بموت وغيره.

إذن، فالإيمان المجرد بوجود الآخرة، يختلف عن تصور الإنسان وعن المراحل التفصيلية لها. وربما تشير إلى ذلك كلمة الظن في الآية الكريمة التالية، حينما يقول ربنا:

﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ۞ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ

(1) الزخرف: ٧٧.

إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[1].

إن كلمة (الظن) ربما تهدي إلى هذا (التصور) أي أن تصورك للقاء الحافل الحاسم الذي يجري بينك وبين الله سبحانه وتعالى، هذا التصور يهز ضميرك، يهزك من الأعماق، والأدعية المأثورة تخلق لنا هذا التصور حينما تتعرض لمسألة الآخرة، وتفاصيل الموت والحشر والعذاب والنعيم.

والدعاء التالي الذي سنتأمل فيه قد جاء في سياق ترسيخ الإيمان بالآخرة:

(**اللهم برحمتك في الصالحين فأدخلنا وفي عليين فارفعنا**)، وليس المهم أن يُكتب اسمك في الجرائد والمجلات، أو يُبث اسمك في الإذاعة، إنما المهم أن يُدخلك الله سبحانه وتعالى في جبهة الصالحين، وأن يرفعك في أعلى عليين، فكم يحتاج الإنسان إلى ترسيخ إيمانه ويقينه، حتى يربي في نفسه هذه الصفة، حتى لا يفكر في من يتكلم عنه، لا يفكر في الشهرة، لا يفكر في أقوال الناس حوله، وإنما يفكر ـ فقط ـ في موقف الله منه، وكيف ينظر الله إليه، وهل يرفعه في عليين أم لا؟

إن التاريخ يشهد أن أناساً ملكوا العالم كله، إلا أنهم

(1) البقرة: ٤٥ ـ ٤٦.

اندحروا وانتهوا لأنهم لم يكونوا من الصالحين.

فرعون كان في عصره أقوى من أمريكا وروسيا اليوم، وأقوى من كل دول العالم في عصره، ولكن أين هو فرعون اليوم؟ لم يبقَ منه إلا جسده المحنط في متاحف القاهرة والذي جعله الله عبرة للآخرين.

إذن، فليست الشهرة الدنيوية هي المهمة، إنما المهم هو أن يرتفع شأنك عند الله سبحانه وتعالى.

ومثال قرآني آخر: هل يعرف أحد أسماء السحرة الذين آمنوا برب موسى، وتمردوا على فرعون، وضحوا من أجل إيمانهم؟ لا أحد يعرف شيئاً عنهم إلا أن الله رفعهم في أعلى عليين.

(وبكأس من معين من عين سلسبيل فاسقنا)

قرأت في بعض الأحاديث أن هناك حوض ماء يشرب منه المؤمنون قبل الدخول في الجنة، وهو الذي يسمى (بحوض الكوثر) وهذا الماء -حسب الروايات- يحمل عدة خصائص، من أهمها:

١ ـ حينما يموت الإنسان، فان جسمه سيتغير كثيراً، ثم حينما يُبعث من جديد وينتشر في صحراء المحشر المحفوف بالأهوال، والذي يقول عنه ربنا سبحانه وتعالى:

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾[1].

فإن جسمه يصاب بتغيرات أكثر ويصبح مشوهاً وذلك لأن صحراء المحشر رغم أنها كبيرة وواسعة جداً، إلا أنها مزدحمة بمليارات البشر، وفيها تلال وحفر وعقارب ونيران وعذاب وظلمة، ومن جهة ثالثة فإن أكثر الناس يدخلون نار جهنم ولو لفترات قصيرة جداً:

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[2].

وذلك من اجل تطهير الناس من ذنوبهم، إذا لم تكن قد مُحيت بالاستغفار في الدنيا، وحينما يخرج هذا الجسم من النار يحمل، بلا شك، (**ومن الحور العين برحمتك فزوجنا**)، الحور جمع (حوراء) وهي تعني المرأة ذات العين التي اشتد سواد سوادها، وبياض بياضها، أي لم يخالط البؤبؤ لون آخر غير السواد، كما لم يخالط البياض أية ألوان أخرى، و(العين) جمع (عيناء) وهي تعني المرأة ذات العينين الواسعتين. إذن، فإن كلتا الصفتين تعودان إلى العين باعتبار عين الإنسان تحمل الكثير من معالم الجمال

(1) المزمل: ١٧.

(2) مريم: ٧١.

بل وتجسد جمال الإنسان، باعتبار الروح تتجلى عبر العين (**ومن الحور العين برحمتك فزوجنا، ومن الولدان المخلدين كأنهم لؤلؤ مكنون فاخدمنا**)، والولدان المخلدون هم مجموعات كبيرة من الشباب الصغار الذين يسخرهم الله لخدمة المؤمنين في الجنة، وتهيئة كل وسائل الراحة، والرفاه لهم، فهم يقدمون للمؤمن كل الخدمات التي يطلبها، (**ومن الولدان المخلدين كأنهم لؤلؤ مكنون فأخدمنا**)، واللؤلؤ هو شيء جميل جداً، يعتريه شيء من الغبار، أما اللؤلؤ الذي كان مكنوناً فانه يتألق بياضاً وجمالاً حينما يخرج إلى النور، كذلك هم الولدان المخلدون.

ولكي يتخلص الإنسان المؤمن من تغيرات القبر، وتشوهات صحراء المحشر، وعاهات وأمراض جهنم، فإنه يشرب من هذه الماء قبل دخول الجنة.. هذا الماء الذي يُعيد جسم الإنسان إلى أجمل صورته في ريعان الشباب ثم بعد ذلك يدخل الجنة.

٢ـ إن هذا الماء هو ماء الحياة، ومن يشرب منه فإنه لا يصيبه الموت ولا يصيبه تعب ولا نصب ولا مرض، ومن هنا فان المؤمن يدخل الجنة شاباً جميلاً معافى من جهة، ومحصناً ضد أية سلبيات وأمراض جسمية من جهة ثانية بفضل هذا الماء، يقول الدعاء: (**وبكأس من معين، من عين سلسبيل فاسقنا**).

(**ومن ثمار الجنة ولحوم الطير فأطعمنا**)، وفي الجنة ثمار ولحوم مختلفة تقدم للإنسان حسبما يشتهي، أما بالنسبة إلى الطير فإن المستفاد من الروايات هو أن طيور الجنة تحلق في الأجواء في أسراب جماعية، وحينما يشتهي المؤمن واحداً منها، يكفي أن يشير إليه حتى يحضر أمامه فوراً وعلى صورة طبق مشوي، والأغرب من ذلك، هو أنه بعد أن يأكل المؤمن منه، فان الطير تتجمع أجزاؤه ويعود إلى الطيران من جديد مفتخراً على سائر الطيور لان المؤمن قد أكل منه.

وفي الحقيقة فان المؤمن مَلِك في الجنة، وتصبح الملائكة، والحور، والولدان، والطيور، والأشجار، والأنهار، وكل شيء رهن إشارته. وحسب ما جاء في بعض الأحاديث، فان المؤمن يملك في الجنة من الأرض والخدم، ومن القاعات والبيوت والخيل والأشجار ما يمكنه أن يدعو جميع أهل الأرض إلى وليمة طعام في يوم واحد.

(**ومن ثياب السندس والحرير والاستبرق فألبسنا**)، الثوب الحرير معروف، أما السندس فهو الديباج الرقيق، وأما الإستبرق فهو الديباج الغليظ، أو الحرير المنسوج مع خيوط الذهب.

كانت هذه هي تطلعات المؤمن في الآخرة، أما للوصول إليها فنحن بحاجة إلى توفيق الهي في الدنيا، يكون

طريقاً للوصول إلى الجنة ونعيمها الدائم، وهو كالتالي:

(**وليلة القدر، وحج بيتك الحرام، وقتلاً في سبيلك فوفق لنا**) فالذي يوفقه الله تعالى لتغيير نفسه في ليلة القدر والبدء بحياة جديدة، يكون فيها رضا الله سبحانه وتعالى، ثم يحج بيت الله الحرام، معلناً بذلك رفضه لكل الآلهة المزيفة على الأرض والطواغيت الذين يجعلون من أنفسهم أنداداً لله، ثم تدركه الشهادة مجاهداً في سبيل دينه وربه، فإنه يكون من أهل الجنة بلا شك، والإنسان لا بد أن يدركه الموت، ولكن ما أحلى الموت حينما يأتي عبر الشهادة، إذ إن أهم فوائد الشهادة في سبيل الله، هو غفران ذنوبه كلها، لأن الله تعالى يشهد للقتيل في سبيله بالجنة.

(**وصالح الدعاء والمسألة فاستجب لنا**)، إننا ندعو الله كثيراً، ولكن بعض هذه الأدعية قد لا تكون مفيدة لنا، إذن فإننا نسأل الله أن يستجيب الدعاء الصالح من دعواتنا.

(**وإذا جمعت الأولين والآخرين يوم القيامة فارحمنا**)، تقول الروايات أن الله سبحانه وتعالى قسم رحمته إلى مئة جزء، نشر جزءً واحداً منها على أهل الدنيا، وادخر تسعة وتسعين جزءً منها ليوم القيامة، فرحمة الله واسعة في هذا اليوم، ولولا رحمة الله لهلك الناس أجمعون، وربما نستطيع أن نقول: لولا رحمة الله لما دخل في الجنة

أحد. ونشير هنا إلى قصة ذلك الرجل العابد الزاهد الذي كان متفرغاً للعبادة والصلاة والابتهال، وكان يدعو الله دائماً أن يُدخله الجنة بعمله هو، وليس برحمته سبحانه.

وفي إحدى الليالي رأى في الحلم أن القيامة قد قامت، وقد جاء دوره للحساب، ونُصب أمامه الميزان ثم وضعت أعماله في إحدى كفتي الميزان، فإذا بها كثيرة، من صلوات وابتهالات وعبادات وما إلى ذلك، أما الكفة الثانية فلم توضع فيها ذنوب، أما لأنه لم تكن له ذنوب تُذكر، أو أن الله كان قد غفر له ذنوبه، وإنما وضعت فيها رُمانة واحدة كان قد أكلها في حياته، وكانت هي ـبالطبعـ نعمة واحدة من ملايين نعم الله الأخرى عليه، وإذا بكفة الرمانة ترجح على كفة الأعمال الصالحة الكثيرة، فاكتشف الرجل خطأ تصوره، إذ إن كل أعماله في الدنيا لم تكن تساوي رمانة واحدة من نعم الله عليه.

إذن، فإننا مهما نكون صالحين ومطهرين من الذنوب والمعاصي، فإننا نكون بحاجة إلى رحمة الله في الآخرة، تماماً كما في الدنيا.

(**وبراءة من النار فاكتب لنا**)، نفهم من هذا أن الذين لا يدخلون النار ينبغي أن تكون لديهم (براءة) مخصوصة تكون بمثابة بطاقة دخول الجنة، ويبدو من بعض الأحاديث أن نار جهنم تفصل بين صحراء المحشر، وبين

الجنة، والذي يدخل الجنة لا بد أن ينطلق عبر جهنم، فالذي يملك (براءة) من النار فانه يعبر جهنم عن طريق الجسر المسمى بـ(الصراط) وهناك من يتمتع بامتيازات كبيرة فانه يعبر جهنم في فترة قصيرة جداً، وقبل أن يرتد إليه طرفه. أما الذي لا يملك بطاقة (البراءة) فانه يجب أن يدخل نار جهنم ثم يخرج منها شاقاً طريقه إلى الجنة.

إذا دخل من هذا الجانب متى يخرج؟ الله العالم، حسب ذنوبه، أما أنه إذا دخل في جهنم فمتى يخرج منها؟ فان هذا يرتبط بحجم ذنوبه وأعماله الصالحة والسيئة، وتقول الروايات أن بعض الناس يمكث في جهنم ثلاثمائة ألف عام، لكي تُصفى أجسامهم، وتُزكى نفوسهم من آثار الذنوب والمعاصي، ثم يدخلون بعد ذلك الجنة، إذن فإننا ندعو الله: (**وبراءة من النار فاكتب لنا، وفي جهنم فلا تغلنا**)، وفي جهنم أغلال من نار تحيط بأصحابها، والغل قد يكون سبعين ذراعاً بحيث يُلف به الإنسان من قدمه إلى رأسه.

(**وفي عذابك وهوانك فلا تبتلنا**)، أي لا تمتحنّا بتسليط العذاب والهوان علينا، (**ومن الزقوم والضريع فلا تطعمنا**)، إن الزقوم هو نوع من أشجار النار كما تشعر بذلك الآيات القرآنية التالية التي تصف الزقوم:

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا

كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ۞ فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾[1].

والزقوم ـكما قيلـ اسم شجرة صغيرة الورق، مُرة، كريهة الرائحة، ذات لبن إذا أصاب جسد الإنسان أدى به إلى أورام خبيثة.

أما الضريع فهو نوع آخر من طعام أهل النار، تشير إليه الآية السادسة من سورة الغاشية:

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ۞ لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾[2].

وقيل: الضريع هو أخبث وأبشع أنواع الشوك.

(**ومع الشياطين فلا تجعلنا**)، كل إنسان في النار يجد إلى جانبه شيطانه الذي كان يوسوس له في الدنيا، والشيطان يلاقي جزاءه في النار ويُعذَّب، إلا انه يؤذي صاحبه في نفس الوقت أيضاً.

(**وفي النار على وجوهنا فلا تكببنا**)، إن الله وضع نار جهنم أساسا في مكان عميق جداً، لذلك فان المجرمين يكبون على وجوههم في النار، وبعض المجرمين يُلقى بهم

---

(1) الصافات: ٦٤ ـ ٦٦.

(2) الغاشية: ٥ ـ ٦.

في نار جهنم وتستغرق فترة سقوطهم حتى وصولهم إلى قعر جهنم مدة سبعين سنة، فنسأل الله أن لا يكبنا على وجوهنا في النار.

(**ومن ثياب النار وسرابيل القطران فلا تلبسنا**)، القطران هي مادة سوداء نتنة تطلى بها أجسامهم فتصير كالسرابيل عليهم.

والنيران تحيط بأهل النار حتى تصبح وكأنها الثياب تغطيهم.

(**ومن كل سوء يا لا إله إلا أنت، بحق لا إله إلا أنت فنجنا**)، فالله تعالى هو القادر على أن ينجينا من كل سوء في الدنيا والآخرة، ولكن علينا نحن أن نسأل الله بجد وإلحاح أن يفعل ذلك بنا.

المحتويات